محمد مهدي الجواهري

مختارات شعرية

obeikandl.com

obeikandl.com

جرِّبيني

نشرت في جريدة "العراق"، العدد ٢٩٠١ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٩.

جــرّبيني مــنْ قبــلِ أن تــزدَريني ... وإذا مــا ذممــتِني فــاهجرِيني

ويَقينــاً ســتندمينَ علــى أنَّــ ... ــكِ مــن قبــلُ كنــتِ لمْ تعــرفيني

لا تقيــسي علــى ملامــحِ وجهــي ... وتقاطعيــهِ جميــعَ شــؤوني

أنــا لــي في الحيــاةِ طبــعٌ رقيــقٌ ... يتنــافى ولــونَ وجهــي الحــزين

قبلَــكِ اُغــترَّ معــشرٌ قرأونــي ... مــن جــبينٍ مكلَّــلٍ بالغُــصون

وفريــقٌ مــن وجنــتينِ شَحوبيــ ... ــن وقــدْ فاتــتِ الجميــعَ عُيــوني

إقــرأيني منهــا ففيهــا مطــاوي الــ ... ــنفسِ طُــرّاً وكــلُّ ســرٍّ دَفــين

فيهمــا رغبــةٌ تفــيضُ وإخــلا ... صٌ وشــكٌّ مخــامرٌ للــيقين

فيهمــا شــهوةٌ تثــورُ وعقــلٌ ... خــاذِلي تــارةً وطــوراً مُعــيني

فيهمــا دافــعُ الغريــزةِ يُغرينــ ... ــي وعــدوى وراثــةٍ تَــزويني

******

إنا ضدُّ الجمهور في العيشِ والتفـ ـ ـكيرِ طُـرّاً وضـدُّه في الـدِّين

كلُّ ما في الحياةِ من مُتع العيـ ـ ـشِ ومن لـذَّةٍ بهـا يـزدهيني

التقاليـدُ والمـداجاةُ في النـا ـ سِ عـدوٌّ لكـلِّ حُـرٍّ فطـين

أنجِـديني: في عـالمٍ تَـنهشُ "الذُئـ ـ ـبانُ" لحمي فيه..... ولا تُسلِميني

وانـا ابـنُ العـشرين مَـنْ مُرجـعٌ لـي إنْ تَقَـصَّتْ لـذاذَةَ العـشرين

******

إِبسِمي لـي تَبْسِمْ حياتي، وإنْ كا ـ ـنتْ حيـاةً مليئـةً بالـشُّجون

أنـصِفيني تُكفِّـري عـن ذُنـوبِ الـ ـ ـناسِ طُـرّاً فـإنهمْ ظلمـوني

إِعطفـي سـاعةً علـى شـاعرٍ حُـر رقيـقٍ يعـيشُ عـيشَ الـسجين

أخـذتني الهمـومُ إلاّ قلـيلاً أدركـيني ومـن يـديها خـذيني

******

ســاعةً ثــم أنطــوي عنــكِ محمــو ـــ لاً بكُـــرهٍ لظُلمـــةٍ وســـكون

حيــث لا رونــقُ الــصباح يُحيِّينـــ ـــي ولا الفجــرُ باسمــاً يُغــريني

حيــثُ لا "دجلــةٌ" تلاعــبُ جنبيـــ ـــها ظِــلالُ النخيــلِ والزَّيتــون

حيــثُ صَــحبي لا يملِكــونَ مُواســا ـــ تـــي بـــشيءٍ إلاّ بـــأنْ يبكـــوني

مَتِّعــيني قبــلَ المــاتِ فمــا يُدريـــ ـــكِ مــا بعــدَه ومــا يُــدريني

وهَـــبي أنَّ بعـــدَ يـــوميَ يومـــاً يقتـــضيني مُخلِّفـــاتِ الـــدُّيون

فمَــنِ الــضامنونَ أنَّــكِ في الحــشـ ـــرِ إذا مـــا طَلَبـــتني تجــديني

فـــستُغرينَ بالمحاســـنِ رُضوانـــ ـــاً فيُلقيــكِ بــين حُــورٍ وعِــين

وإنـــا في جهـــنَّمٍ مـــعَ أشـــيا ـــخٍ غُـــواةٍ بِغـــيِّهمْ غمرونـــي

أحـــرَجَتني طبـــيعتي وبـــآرا ـــئهـــم ازْدَدْتُ بَلـــةً في الطـــين

بالشفيعِ "العُريان" استملكي خيـ ـــرَ مكـــانٍ وأنـــتِ خـــيرُ مكـــين

ودَعـيني مُـستعرضاً في جحيمـي كـلَّ وجـهٍ مُـذمَّمٍ ملعـون

وستُـشجَينَ إذْ تـرَينَ مـعَ البُـز ـ ـلِ القناعيسِ حيرةَ ابـن اللبـون[1]

عـن يـساري أعمـى المعـرَّةِ "والـشيـ ـ ـخُ" الزهـاويُّ مُقعداً عـن يمـيني[2]

إئْـذني لـي أنـزل خفيفـاً علـى صدرك عذباً كقطرة من مَعين

وافتحي لي الحديثَ تستملحي خفَّـ ـ ـةَ رُوحـي وتـستطيبي مُجـوني

تعـرِفي أنـني ظريـفٌ جـديرٌ فـوقَ هـذي "النهـود" أنْ تَـرفعيني

مـؤنسٌ كابتـسامةٍ حـولَ ثغريـ ـ ـكِ جذوبٌ كسحرِ تلـكَ العيـون

******

إسمحـي لـي بقُبلـةٍ تملِكـيني ودعـي لـي الخَيـارَ في التعـيين

قـرِّبيني مـن اللـذاذةِ ألمَـسْ ـ ـها أريـني بداعـةَ التكـوين

---

(١) البزل جمع "بازل" وهو الجمل الذي شق نابه وبزل. و"القناعيس" الإبل القوية الشديدة وفي البيت إشارة إلى قول القائل:

و"ابن اللبون" إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة "البزل القناعيس".

(٢) في البيت إشارة إلى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وكان الجواهري من أخص الشباب العراقي به، وأكثرهم ملازمة له. وللزهاوي نكتة معروفة حول هذا البيت هو قوله: أشد ما يعجبني فيه أن الجواهري لم يكتف بإنزالي في جهنم وإنما جعلني مقعداً فيها أيضاً.. وكان الزهاوي مصاباً بشلل خفيف في رجليه.

obeikandi.com

أنــزليني إلى "الحــضيضِ" إذا مــا شــئتِ أو فــوقَ ربــوةٍ فــضعيني

كــلُّ مــا في الوجــودِ مــن عقبــاتٍ عــن وصــولي إليــكِ لا يَثنــيني

******

إحملــيني كالطفــلِ بــين ذراعيــ ــكِ احتــضاناً ومثلَــه دلِّلــيني

وإذا مــا سُــئلتِ عــني فقــولي لــيسَ بِــدعاً إغاثــةُ المــسكين

لــستُ أُمَّــاً لكــنْ بأمثــالِ "هــذا" شــاءتِ الأُمهــات أنْ تبتلــيني

أشــتهي أنْ أراكِ يومــاً علــى مــا ينبغــي مِــن تكــشُّفٍ للمــصُون

غــيرَ أنــي أرجــو إذا ازدهــتِ النفــ ــسُ وفــاض الغــرامُ أنْ تعــذُريني

"إِلطمــيني" إذا مَجُنــتُ فعمــداً أتحــرَّى المُجــونَ كــي تَلْطِمــيني

وإذا مــا يــدي اســتطالتْ فمِــنْ شَعــ ــرِكِ لُطفــاً بخُــصلةٍ قيِّــديني

مــا أشــدَّ احتياجــةِ الــشاعرِ الحــسَّا ــسِ يومــاً لــساعةٍ مِــن جنــون

obeikandl.com

طرطرا!...

نظمت عام ١٩٤٥.

نشرت، أول مرة، في جريدة "الرأي العام"، العدد ١٤٨٤ في ٢٤ آذار ١٩٤٦.. وقدمتها:

((إنها من وحي الظروف خلال تطبيق مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لعام ١٩٤١ على هذه الجريدة في اليوم الأول من شهر آب ١٩٤٥ التي عطلت بموجبه قرابة شهرين)).

وأضفت:

وهي على النمط الساخر والوزن من القصيدة الدبدبية المشهورة التي قيلت في العهد العباسي ومطلعها:

أي دبـــــدبي تدبـــــدبي أنـــا علـــي "المغربـــي"

أيْ طرطـــــرا تطرطـــــري تقـــــدَّمي، تـــــأخَّري

تَـــــشيَّعي، تـــــسنَّني تَهـــــوَّدي، تَنـــــصَّري

تكـــــرَّدي، تَعرَّبـــــي تهـــــاتَري بالعُنـــــصرِ

تَعمَّمـــــي، تَبَرنطـــــي تَعقَّلـــــي، تـــــسدَّري

كـــوني ــ إذا رُمـــتِ العُلـــى مـــن قُبُـــلٍ أو دُبُـــرِ

صـــالِحةً "كـــصالحٍ" عـــامرةً "كـــالعُمري"

******

وأنـــــتِ إنْ لم تَجِـــــدي أبـــاً حميـــدَ الأثَـــر

ومَفخَـــراً مـــن الجُـــدو ـــ دِ طيِّـــبَ المُنحـــدَر

ولم تَـــرَي في الـــنَّفسِ مـــا يُغنيـــكِ إنْ تفتخـــري

شـــأنُ عِـــصامٍ قـــد كَفَتْـــ ـــه الـــنفسُ شَـــرَّ مَفْخَـــر

فالتَمـــسي أبـــاً سِـــوا ـــ هُ أشِـــراً ذا بَطَـــر

طُـــوفي علـــى الأعـــرابِ مـــن بـــادٍ ومـــن مُحتَـــضِر

والتَمِـــسي مـــنهم جـــدو ـــ داً جُـــدُداً وزَوِّري

تَزيَّـــدي تَزبَّـــدي تعنَّـــزي تَـــشمَّري

في زَمَـــنِ الـــذَرِّ إلى بَـــداوةٍ تَقَهْقَـــري

******

تَقَلَّبي تَقَلُّبَ الدهرِ بشتَّى الغِيَرِ

تصرَّفي كما تشا ـ ئينَ ولا تعتَذري

لمن؟!! أللناسِ؟!! وهم حُثالةٌ في سَقَر

عبيدُ أجدادكِ من رِقٍّ ومن مُستأجَر!

أمْ للقوانين وما جاءَتْ بغَير الهَذَر

تأمرُ بالمعروف والـ ـمنكَر فوقَ المِنبَر

شَيْءُ أبي المعروفِ في شُوَيَّ أمِّ المُنْكَرِ[1]

أمْ للضميرِ والضمير ـ ـرُ صُنْعُ هذا البَشَر؟!

تَعِلَّةٌ لصائمٍ فَطيرةٌ لمُفطِّرِ

لمن؟!! أللتاريخ؟!! وهـ ـو في يَدِ المُحَبِّر

مُسَخَّرٌ طَوْعَ بنا ـ نِ الحاكم المُسخِّرِ

بدَرْهَمٍ تُقَلِّبُ الـ ـحالَ يَدُ المُحرِّر

---

(١) شُويَّ، بتشديد الياء: كناية عن عضو التأنيث.

قـــد تَقـــرأُ الأجيـــالُ في دُفَّـــةِ هـــذا المحـــضَر

عـــن مِثْـــلِ هـــذا "العَـــصْر" أن قـــد كـــان زيـــنَ الأعـــصُر

وأنَّـــــه مـــــن ذَهَـــــبٍ وأنّـــه مـــن جَـــوهر

أم للمقـــــاييس اقتـــــضا ــ هـــنَّ اخـــتلافُ النَظَـــر؟

إنَّ أخَـــا طَرْطَـــرَ مـــن كـــلِّ المقـــاييس بَـــري!

******

أي طرطـــرا إن كـــانَ شَعـــ ــ ـــبٌ جـــاع أو خَلـــقٌ عَـــري

أو أجْمَـــعَ الـــستُّ المـــلا ــ يـــينُ علـــى التـــذمُّر

أو حَكَـــمَ النـــساءُ حُكـــ ــ ـــم الغاصـــبِ المقتَـــدِر

أو صـــاحَ نَهبـــاً بـــالبلا ــ د بـــائعٌ ومـــشتري

أو نُفِّـــذَ المرســـومُ في محـــابرٍ وأســـطُر

أو أُخِـــذَ الـــبريءُ بالمـــ ـــ ـــجرِمِ أخـــذَ "طرطـــر"

أو دُفِـــــع العـــــرا ـــ قُ للـــــذلِّ أو التـــدهورِ

فـــــاحتكمي تحكَّمـــــي وتُحمَـــدي وتـــؤجَري

******

أي طرطـــرا تطرطـــري وهلِّلـــي وكَبِّـــري

وطَبِّلـــي لكـــلِّ مـــا يُخـــزي الفَتَـــى وزمِّـــري

وسَـــبِّحي بحمـــدِ مـــأ ـــ فـــونٍ وشـــكرِ أبتَـــر[1]

أعطـــي سمـــاتِ فـــارعٍ شَـــمَردَلِ لـــبُحتر[2]

واغتَـــصِبي لـــضِفدعٍ سمـــاتِ ليـــثٍ قَـــسْور

وعَطِّـــري قـــاذورةً وبالمـــديح بَخِّـــري

---

(١) الأبتر: الخبيث من الحيّات.

(٢) الشمردل: الطويل. والبحتر: القصير.

obeikandi.com

وصـــيِّري مـــن جُعَـــلٍ حديقـــةً مـــن زَهَـــر

وشَـــبِّهي الظـــلامَ ظُلـــ ـــماً بالـــصَباح المُـــسفِر

وألبـــسي الغـــبيَّ والأ ـــ حمـــقَ ثَـــوبَ "عبقـــر"

وافرغـــي علـــى المخـــا ـــ نيـــثِ دروع "عـــنتر"

إن قيـــلَ إنَّ مجـــدَهمُ مزيَّـــفٌ فـــأنكري

أو قيـــلَ إن بطـــشهم مـــن بَطْـــشة المـــستعمِر

وإنَّ هـــذا المـــستعيـ ـــرَ صـــولةَ الغَـــضَنفَر

أهـــوَنُ مـــن ذبابـــةٍ في مـــستحَمٍّ قـّــذِر

فهـــي تطـــير حُـــرَّةً جَناحُهـــا لم يُعَـــر

وذاكَ لـــو لم يـــستعِرْ جَناحَـــه لم يطـــر

فغـــالِطي وكـــابري وَحَـــوِّري وزوِّري

******

أي طرطـــرا سِـــيري علـــى نَهجِهـــــــمُ والأثَـــــــر

واســـــتَقبلي يومَـــك مـــن يـــــومهمُ واســـــتدبري

وأجمعِـــي أمـــــرِكِ مـــن أمـــــرِهِمُ تَـــــستَكثِري

كُـــوني بُغاثـــاً واٌســـلَمي بـــالنفسِ ثـم استَنْـسِري[1]

إنْ طوَّلُـــــوا فطَـــــوِّلي أو قـــــصَّروا فقَـــــصِّري

أو أجرَمُـــــوا فاعتـــــذري أو أنـــــذروا فبـــــشِّري

أو خَبَطـــوا عـــشوا فقُـــو ــ لـــي: أيُّ نجـــمٍ نيِّـــر

أو ظلمـــــوا فـــــأبرزي الظُلْـــمَ بـــأبْهى الـــصُوَّر

أو صَـــــنَعوا مـــــا لم يـــبرِّرْ منطـــقٌ فـــبرِّري

******

(١) بغاث الطير: الحامل منه والحقير. واستنسر: صار كالنسر.

obeikandi.com

أي طرطـــــرا لا تُنكِـــــري ذَنبـــــاً ولا تَـــــسْتَغفِري

ولا تَغطِّـــــي ســـــوءةً بانـــــت، ولا تَتَّـــــزِري

ولا تُغـــضِّي الطـــرفَ عـــن فَـــرط الحيـــا والخَفَـــر

كُـــوني علـــى شـــاكلةٍ مـــن أمـــرهم تُـــؤَمَّري

كُـــوني علـــى شـــاكلةِ الـــ ـــ ـــوزيرِ بـــادي الخَطَـــر

أيْ طرطـــرا كُـــوني علـــى تاريخِـــك المُحتقَـــر

احـــرَصَ مـــن صـــاحبة النِـــ ـــ ـــحييْن إنْ تَـــذكَّري

******

طـــولي علـــى "كِـــسرى" ولا تُعنَـــيْ بتـــاج "قَيـــصر"

كـــوني علـــى مـــا فيـــك مـــن مـــساوئٍ، لم تُحـــصَر

كـــوني علـــى الأضـــداد في تكوينـــك المُبعثَـــرِ

شـــامخةً شمـــوخَ قَـــر ـــ ـــن الثَـــور بـــين البَقَـــرِ

******

أيْ طرطـــرا أُقـــسم بالـــســـ ـــ ـــــــــويكةِ المـــــــــشهَّر

والخَـــــرزِ المَعقـــــود في الـــــ ـــ ـــــبطن فُوَيـــق المـــشعر

بوجهـــــــــكِ المعتكـــــــــر وثَغـــــــرِك المنـــــــوَّرِ

وعينِـــــك الحمـــــراءِ تـــــر ـــ مـــي حاســـداً بالـــشَرَر

وصـــــنوك الثـــــور يُثـــــا ـــ ر غيظُـــــه بـــــالأحمر

أُقـــــــسم "بالكـــــــافور" لا أقـــصِدُ شَـــتم "العَنْـــبر"

لأنـــــتِ فـــــوقَ البـــــشَر فـــوق القَـــضَا والقَـــدَر

******

أيْ طرطـــرا ((يـــا لَـــكِ مـــن قُبَّـــــــــرة بمَعمَـــــــــر

خـــلا لـــكِ الجـــوُّ)) وقـــد طـاب ((فبيـضي واصـفِري))

((ونقِّـــري)) مـــن بَعـــدِهم ((مـــا شـــئت أن تُنَقِّـــري))

قـــد غَفَـــل الـــصيّادُ في "لنـــدَنَ" عنـــك فابـــشِري!

obeikandl.com

حافظ ابراهيم

نظمت في وفاة حافظ ابراهيم. نشرت في جريدة "العراق"، العدد ٣٧٦٩ في ٢٢ آب ١٩٣٢. نشرت في ط٣٥.

نَعَــوا إلى الــشعرِ حُــرَّاً كــان يَرعــاهُ
ومَــنْ يَــشُقُّ علــى الأحــرارِ مَنعــاهُ

أخنــى الزَّمــانُ علــى نــادٍ "زهــا" زَمنــاً
بحــافظٍ واكتــسى بــالحُزنِ مغنــاه

واســتُدْرجَ الكوكَــبُ الوضــاءُ عــن أُفــقٍ
عــالي الــسَّنا يُحْــسِرُ الأبــصارَ مَرقــاه[1]

أعْــزِزْ بأنّــا افتقَــدْناهُ فأعوزنــا
وجــهٌ طليــقٌ وطَبــعٌ شَــفَّ مجــراه

وأنَّ ذاكَ الخفيــفَ الــروحِ يُوحــشُهُ
بيــتٌ ثقيــلٌ علــى الأحيــاءِ مَثــواه

(١) استدرج: زحزح وانزل.

obeikandl.com

ضـــيفٌ علـــى رِمَـــمٍ شـــتَّى طبائعُهـــا

مـــا كـــانَ يجمعُهـــا حـــالٌ وإيَّـــاه[1]

إنَّ الـــذي هـــزَّ كـــلَّ النـــاس مَحـــضَرُهُ

لم يبـــقَ في النـــاس منـــه غـــيرُ ذكـــراه

نـــــأتْ رعايَتُنـــــا عنـــــه وفارَقَنـــــا

فِـــــراقَ مُحتَـــــشمٍ فلْيَرعَـــــهُ الله

******

حـــوى التُـــرابُ لِـــساناً كُلُّـــهُ مُلَـــحٌ

مـــا كـــلُّ مُحتَـــرفٍ للـــشِّعرِ يُعطـــاه

للأريحيَّـــــةِ مَنْـــــشاهُ، وَمَـــــصْدَرُهُ

وللـــــشَّجاوةِ والإينـــــاسِ حَـــــدّاه

جـــمُّ البَدَائـــهِ، سَـــهْلُ القـــولِ، ريِّـــضُه

وطالمـــــا أعـــــوزَ المِنطيـــــقَ إبـــــداه[2]

---

(١) الرمم: جمع رمة ما يلي من العظام.

(٢) البدائة هنا ما يبده من القول عفواً ومطاوعة وبديهة، وكان الفقيد "حافظ ابراهيم" معروفاً بذلك. راجع المستدرك.

obeikandl.com

جَــلا القِــراعُ الــشبا منــهُ ولطَّفــهُ

طــولُ التَّجــاربِ في الــدُّنيا ونقَّــاه[1]

تخيَّــر الكَلِــمَ العــالي فــسَلَّطهُ

علــى القــوافي فحلاّهــا وحــلاَّه

ومَــدَّها ببَنــاتِ الفِكــرِ مُرسَــلَةً

تَرَسُّــلَ الــسَّيلِ أدنــاهُ كأقــصاه[2]

مِــن كــلِّ مَعنــىً لطيــفٍ زاد رونَقَــهُ

إبــداعُ "حــافظَ" فيــهِ فهــو تيَّــاه

فلــو يُطيــق القــريضُ النُطــقَ قابلَــهُ

بالــشُكرِ عــن حُــسن مــا أسـدى فـأطراه

******

عــرائسٌ مــن بنــاتِ الفكــر حاملــةٌ

مِــن حــافظٍ أثــراً حُلــواً كــسِيماه

ومــا الــشُعُور خيــالُ المــرءِ يَنْظِمُــه

لكنَّــهُ قِطَعــاتٌ مِــن ســجاياه

---

(١) شبا السيف: حده واستعير هنا للسان الشاعر ومقوله.

(٢) الترسل: التمهل والترفق وهو من مميزات البيان.

obeikandl.com

أخـــو الحمـــاسِ رقيقـــاً في مقاطعـــهِ
تكـــــادُ تُلْمَـــــسُ نِـــــيرانٌ وأمـــــواه

وذو القـــــوافي لِطافـــــاً في تَسَلـــــسُلها
مـــا شـــانَها عنَـــتٌ يومـــاً وإكـــراه[1]

وابـــنُ الـــسِنينَ نَقيَّـــاتٍ صـــحائفُها
أُولاه فائـــــضةٌ حُـــــسناً وأُخـــــراه

فـــإنْ يكـــنْ خُـــضِدت بـــالموتِ شَـــوكتُهُ
أو نـــالَ وقـــعُ البِلـــى منـــهُ فعـــرّاه[2]

فمـــا تـــزالُ مَـــدَى الأيـــامِ تُؤنـــسُنا
نظـــائرٌ مِـــن قوافيـــهِ وأشـــباه

شـــعرٌ تُحِـــسُّ كـــأنَّ الـــنفسَ تَعـــشَقهُ
أو أنَّهـــا اجْتُـــذِبتْ بالـــسِحر جـــرّاه

---

(١) العنت: الشدة والإرهاق.

(٢) خضدت: كسرت.

obeikandl.com

زانَـــتْ مواقِفـــهُ جُنديَّـــةٌ كُـــسيَت

مـــن الرزانـــةِ مـــا لمْ تُكْـــسَ لـــولاه[1]

مـــشى بمـــصرَ فلـــم يَعثُـــر بهـــا ورمـــى

مُحتـــلَّ مِـــصرَ فلـــم يُخطِئْـــهُ مَرمـــاه

رِيـــعَ القـــريضُ بفـــذٍّ كـــانَ يملـــؤهُ

مـــــن الجمـــــيلينِ مَبنـــــاهُ وَمَعنـــــاه

يُعطـــي لكـــلِّ مقـــامٍ حقَّـــهُ، ويَـــرَى

حقّـــاً لـــسامعِهِ لا بُـــدَّ يَرعـــاه

قـــد يُوسِـــعُ الامـــرَ تفـــصيلاً يُحتِّمـــه

حـــالٌ، وقـــد يَكتفـــي عنـــهُ بفَحـــواه

وقـــد يجـــيءُ بمـــا لم يَجْـــرِ في خَلَـــدٍ

وقـــد يقـــولُ الـــذي لم تهـــوَ إلاَّه

فـــمٌ مـــن الـــذهب الأبريـــزِ مَنطِقُـــهُ

جـــاءتْ تُعـــزِّي بـــه الأشـــعارَ أفـــواه

---

(١) جندية: إشارة إلى ماضي حافظ ابراهيم في الخدمة العسكرية.

obeikandl.com

اليــومَ يبكيــهِ دامــي القلــبِ طارَحَــهُ

بــــــداميات قوافيــــــهِ فواســــــاه

وضــــيِّقُ الــــصدرِ بالأيــــام غالطَــــهُ

عــــنِ الحيــــاةِ ومــــا فيهــــا فعــــزَّاه

حَــسبُ الزمــانِ وحَــسبُ النــاسِ مَنقــصةً

أن طــالَ مــن حــافظٍ في الــشعر شَــكواه

مــــا للزمــــانِ ونفــــسٍ ريــــعَ طائرُهــــا

ألمْ تكــــنْ في غِنــــىً عنهــــا رزايــــاه

******

ضــحيَّةَ المــوتِ هــل تهــوى مَعــاودَةً

لِعَــالمٍ كنــتَ قَــبلاً مِــن ضَــحاياه

يــــا ابــــنَ الكِنانــــةِ والأيــــامُ جــــائرةً

والــــدهرُ مُغْرمــــةٌ بــــالحُرِّ بَلــــواه

لُقِّيــــتَ مِــــن نَكَــــدِ الــــدُّنيا ومحنتهــــا

مــــا كنــــتَ لــــولا إبــــاءٌ فيــــكَ تُكفــــاه

مــا لــذَّةُ العــيشِ جَهــلُ العَــيشِ مبــدأُه

والهــــمُّ واسِــــطهُ، والمــــوتُ عُقبــــاه

يـــا ابـــنَ الكِنانـــة مـــاذا أنـــتَ مَـــشتَملٌ
عليـــه ممَّـــا سَـــطَا مَـــوتٌ فَغَطَّـــاه[1]

سِـــتّونَ عامـــاً أرتْـــكَ النـــاسَ كُـــنهَهَمُ
والـــدهرَ جـــوهرَهُ والعُمْـــرَ مَغـــزاه

وبَـــصَّرتكَ بأطبـــاع يَـــضيقُ بهـــا
صـــدرُ الحلـــيم وتأبـــاه مَزايـــاه

بَـــدَا علـــى نَفَثـــاتٍ منـــكَ خالـــدةٍ
عـــيشُ الأبـــاة ونُعمـــاهُ وغُمَّـــاه

وخَبَّرتنـــا القـــوافي عـــن أخـــي جَلَـــدٍ
صُـــلب الإرادةِ يُعْيـــي الـــدهرَ مأتـــاه

خـــاضَ الزمـــانَ وأبـــلاهُ مُمارســـةً
لم يَخْـــفَ عنـــه خـــبيٌّ مِـــن ثنايـــاه

وعـــنْ مُـــصارعةِ الـــدُّنيا علـــى نَـــشَبٍ
الحَـــالُ تُوجبـــهُ والـــنفسُ تأبـــاه

---

(١) البيت يتضمن التساؤل من الشاعر عما يحمل معه إلى القبر من آلام وإحساسات لم يكتب له التعبير عنها في شعره.

obeikandl.com

وعــن مواقــفَ تُــدمي القلــبَ غُــصَّتها

لا المــالُ يَــدفعُ ذِكراهــا ولا الجــاه

وعــن أذايــا يَهــدُّ الــنفسَ مَحمِلُهــا

ويَــــستثيرُك جانيهــــا ومَــــرآه

******

إنَّــا فَقَــدناهُ فقْــدَ العَــينِ مُقلتهــا

أو فقْــدَ ســاعٍ إلى الهيجــاءِ يُمنــاه

مــا انفَــكَّ ذِكــرُ الــرَّدى يجــري علــى فمــه

ومــا أمــرَّ الــرَّدى، بــل مــا أُحــيلاه

ومَــنْ تُبَــرِّحْ تَكــاليفُ الحيــاةِ بــه

ويَلْمــسِ الــرَّوْحَ في مَــوتٍ تمنَّــاه

إنّــي تعــشَّقتُ مِــن قبــلِ المُــصابِ بــه

بيتــاً لــه جــاء قبــلَ المــوتِ يَنعــاه:

لبــسته ودُمــوعُ العــينِ فائــضةٌ

والــنَّفسُ جياشــةٌ والقَلــب أوّاه

ستالينغراد .....

نظمت عام ١٩٤٣ تحية للشعوب السوفياتية لدفاعها المجيد عن مدينة "ستالينغراد" وكسر شوكة الجيوش النازية الغازية.

نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد ٧٠١ في ٢١ شباط ١٩٤٣.

نـــضت الـــروح وهزتهـــا لـــواء ... وكـسَته واكتـستْ منـه الـدماء

واســتمدتْ مــن إلــه الحَفــلِ والــ ... ــبيتِ والمــصنعِ عَزمــاً ومَــضَاء

رَمــتِ الــزرعَ بعــين أثلــجَ الــدَ ... ــمعُ فيهـا ضـرمَ الحِقـد اجتـواء

أُعجِلــتْ عنــهُ فآلــت قَــسَماً ... أن ستــسقيهِ دمَ الأعــداءِ مــاء

ومــشت في زحمــةِ المــوتِ علــى ... قــدَمٍ لم تخــشَ مَــيْلاً والتــواء

أقــسمتْ باســم عظــيمٍ كرُمــت ... باسمِــه أنْ لا تُهــين العظمــاء

******

يــا "ســتَالينُ" ومــا أعظَمهــا ... في التهجِّـي أحرُفـاً تـأبى الهجـاء

أحــرفٌ يــستمطرُ الكــونُ بهــا ... إنعتاقــاً وازدهــاراً، وإخــاء

خــالقُ الأُمَّــةِ لم يمــنُنْ ولم ... يبــغِ ــ لــولا أرَجُ الزهــر ــ ثنــاء

وزعـــيمٌ شـــعَّ فـــيمنْ حولَـــه قـــبسٌ منـــه فكـــانوا الزعمـــاء

زَرَّ بُرْديـــــهِ علـــــى ذي مِـــــرّةٍ فـــاض إشـــفاقاً، وبأســـاً، وعنـــاء[1]

مـــسّه الظلـــمُ فعـــادى أهلـــه وامـــترى البـــؤسَ فَحَـــبَّ البؤســـاء

وانـــبرى كـــالغيمِ في مُـــضْحِيةٍ فـــسقى دهـــراً، وأحيـــا، وأفـــاء

******

بُـــوركَ البـــاني وعاشـــت أمـــةٌ وفَّـــتِ البـــاني حُقوقـــاً والبنـــاء

قيـــل للعـــيشِ ففاضـــت أُمنـــاء وإلى المـــوتِ ففاضـــتْ شـــهداء

ومـــشى التـــاريخُ مـــوزونَ الخُطـــى مـــا انحنـــى ذُلاًّ ولا ضـــجَّ ادّعـــاء

هـــذه التربـــةُ لا مـــا سُـــمِّيت وطنـــاً يُنبِـــتُ جوعـــاً وعـــراء

وهـــي ذي الحُفـــرةُ إذ طـــارت عَجاجـــاً ألـــفُ نفـــسٍ معهـــا طـــارت فـــداء

وهـــو ذا العِـــرضُ فهـــل تبغـــي وُقـــاةً مـــثلَهم، أو مثـــلَ ذا تبغـــي وَقـــاء

******

(١) المِرّة: القُوة.

obeikandl.com

قفْ على "القَفْقاس" وانظر موكبَ ـــ ـــمجدِ والعـــزَّةِ يمـــشي خُـــيَلاء

وسْـــلِ (القُـــوزاقَ) هـــل كـــان دمـــاً لمعـــانُ الـــسيفِ أم كـــان طـــلاء

وجـــدَ الغـــادرُ مـــن قَـــسوتها ما رأى من لطفها الضيفُ سخاء

والعتـــاقُ الجـــردُ هـــل لاقـــت بمـــا عاقَهـــا مـــن جُثَـــثِ القتلـــى عنـــاء[1]

نفخـــت مـــن وَدَجَيْهـــا أن رأتْ مُمْتطـــى فارِســـها أمْـــس خُـــلاء[2]

فهـــي والغـــيظُ مَـــرى أشـــداقها تعـــرِكُ اللُّجـــمَ وتجـــترُّ الغُثـــاء[3]

واحتواهـــا رهَـــجُ الحـــربِ فمـــا تُبـــصِرُ الأرضَ عُتُـــوّاً وازدهـــاء

مـــن علـــى صـــهوتها يمنحُهـــا شـــرفَ "الفـــارس" عزمـــاً وفَتـــاء

******

يـــا عـــروسَ "الفُلـــغِ" والفلغـــا دمٌ ســـاءت البلـــوى فأحـــسنت الـــبلاء

صُـــبِغَ "الـــدونُ" دمَـــاءينِ هُمـــا بُعـــدُ بـــين الـــرجسِ والطهـــرِ التقـــاء

وجـــــرت أمواجُـــــه حاملـــــةً فوقهـــا الـــضدّينِ صُـــبحاً ومـــساء

---

(١) العِتاق: جمع عتيق: الفرس النجيب.

(٢) الوَدَجان: عرقان في العنق.

(٣) مرى: من مَرى الضرع، أي احتلَبه واستدرَّه.

obeikandl.com

وعلى الجُرفينِ "عظمان" هما ... رمزُ عهدَيْنِ انحطاطاً وارتقاء

يا ابنةَ النهرين دومي شَبَحاً ... لقويٍّ وضعيفٍ يُتراءى

للمُهينينَ عِقاباً وجَزاء ... والمُهانين انتفاضاً وإباء

كنتِ أسمى مَثلاً من ظَفَرِ ... لم تَلدهُ خططُ الحربِ دهاء

غُلِبَ الغالبُ فيه وانثنى الطـ ... ـوقُ ـ كالحبل ـ على الطوق انثناء

كنتِ رمزاً أَلْهَمَ الجيلَ الفداء ... وهَدى الأعقابَ ما شاءت وشاء

******

حسِبوا أمرِكِ ما قد عُوِّدوا ... صَعقَ الحربِ اتقاداً وانطفاء

وابتداءً من حديدٍ ودمٍ ... يُمهَرُ الفتحُ به ثم انتهاء

واستجاشوا فيلقَ الموتِ على ... ظمأ للدم منَّوه ارتواء

ومضوا فيما أرادوا خطوةً ... أوشك اليأسُ بها يمحو الرجاء

أوجف الغربُ على وطأتِها ... وأمالت كلكَلَ الشرقِ فناء[1]

---

(١) وجف: اضطرب.

obeikandl.com

وتلـــــوت جـــــيرةٌ طمَّاحـــــةٌ أفنـــــاءً تَتَلقَـــــى أم بقـــــاء؟

حملـــــت حاضـــــرَها واثقـــــةً أنَّ في مـــــستقبلٍ آتٍ عـــــزاء

وانـــــبرى التـــــاريخُ في حيْرتِـــــهِ أأمامـــــاً يتخطّـــــى أم وراء؟

وســـــرت أنبـــــاءُ سُـــــوءٍ تـــــدّعي أن ريحـــــاً تُنـــــذِرُ الـــــدنيا وبـــــاء

حُلُـــــمٌ حلـــــوٌ مُمـــــرٌّ مـــــؤنسٌ مُـــــوحشٌ سـرَّ بمـــا جـــاء وســـاء

طـــافَ بـــالكونِ فـــأغفى أهلُـــه تعـــساءً وأفـــاقوا ســـعداء

******

فـــإذا العِـــزَّةُ في عليائهـــا تتـــضرّى فتـــدوسُ الكبريـــاء

وإذا الأنقـــاضُ في كُرْبتهـــا تُفْعِـــمُ المكـــروبَ كـــالرَّوض شـــذاء

وإذا المُـــنقَضُّ مـــن أحجارهـــا لمـــحُ الـــنجمِ تعـــالى فأضـــاء

وإذا الطـــاغوتُ في أعراســـه يمـــلأُ الـــدنيا نحيبـــاً وبكـــاء

أنـــتِ أمليـــتِ علـــى تاريخـــه طافحـــاً بـــالكِبر دُلاًّ واختـــذاء

ومحـــوتِ العُجْـــبَ مـــن أســـطاره ومـــلأتِ الـــصَّلفَ المحـــضَ ازدراء

وصـــــفعتِ الـــــدنَّ يافوخِـــــهِ صـــفعةً لم تُبْـــقِ خَمْـــراً وانتـــشاء

حـــسبُ مـــن ضـــاقت ثنايـــاكِ بـــه أنَّـــه يبغـــي ـ فـــلا يَقـــوى ـ النَّجـــاء

وكفـــى المُحتـــلَّ هَوْنـــاً أن يُـــرى الـــ ـــ آســـرون الغُلـــبُ منـــه أُســـراء

نحـــنُ أهـــلَ الأرض لـــو نقْـــوى وفـــاء لرفعنـــاكِ علـــى الأرض ســـمـــاء

لجعلنـــا كـــلَّ عـــينٍ ـــ مثلَمـــا كـــلُّ قلـــبٍ ـــ تـــتملاّكِ اجـــتلاء

******

نِعْـــمَ مـــا أســـدَتْ يـــدٌ آثمـــةٌ كـشفت عـن وجهـكِ الحُـرِّ غطـاء

عاصـــفٌ مـــرَّ فجلّـــى وانجلـــى بـــدت الـــشمسُ بـــه أبهـــى ســـناء

وضُـــحَ الحـــقُّ الـــذي طـــال خَفـــاء وتـــولى زَبَـــدُ الكِـــذبِ جُفـــاء

وحّـــدَ العـــدلُ شـــعوباً خُلطـــاء عَمـــروا الأرضَ وعاشـــوا خلـــصاء

وجـــدوا في تربـــةٍ تجمعُهـــمْ كـلَّ مـا يُطلـبُ في الخُلْـدِ اشـتهاء

ورأوا في الـــسّلمِ دَينـــاً يُقْتَـــضى ورأوا في الحـــربِ للـــدَّينِ اقتـــضاء

أترجـــى ـــ أن تنجـــي وطنـــاً مـــن يـــد المـــوت ـــ جنـــوداً فقـــراء

إنَّ للحـــــربِ رجـــــالاً ليـــــتَهمْ خبّرونـــــا أنَّ للحـــــرب نـــــساء

وغيـــــوراتٍ أبـــــى تاريخُهـــــا أن تُـــــرى دون الغيـــــورينَ غَنـــــاء

زانهـــــا الطهـــــرُ رُواءً وارتمـــــتْ في مُثـــار النقـــعِ فـــازدادت رُواء

ذادتِ الأمُّ عـــــن البيـــــتِ وَقـــــاء وارتمـــى الطفـــلُ علـــى الأُمِّ افتـــداء

وتعـــــزَّت حـــــين أخلـــــت طُنفـــــا لم تَـــصُنْهُ، أنَّهـــا صـــانت فِنـــاء[1]

"أُمَّ غـــوركي" ليـــت عنـــدي وحيَـــه لأوفي (بنتَـــك) اليـــومَ الثنـــاء

لـــو يعـــود اليـــومَ حيّـــاً لـــرأى مثلَهـــا ألْفـــاً تهِـــزّ البُلغـــاء

بـــل ولـــولا أن غـــوركي أمُّـــهُ مثـــلُ هـــذي لم يبُـــزَّ النبغـــاء

******

(١) الطنف: افريز الحائط أو ما أشرف من البناء خارجاً.

obeikandl.com

يـا "تولـستوي" ولم تـذهبْ سُـدىً ... ثـورةُ الفكـر ولا طـارت هَبـاء

يـا ثريّـاً وهـبَ النـاسَ الثـراء ... قُـمْ تـرَ النـاسَ جميعـاً أثريـاء

قُـمْ تَجِـدهم مـالِكي غَلَّـتهمْ ... مَـن علـى عهـدِك كـانوا الأُجـراء

هكـذا (الفكـرةُ) تزكـو ثَمَـراً ... إن زكـتْ غرسـاً، وإن طابـت نَمـاء

******

قـد محـصتَ القـولَ حقـاً وادِّعـاء ... كلِـمٌ يخـترقُ الـسمعَ سـواء

ووجـدتَ النـاسَ مـن جهلِهـمُ ... لا يَميـزون ثُغـاءً ورُغـاء[1]

اسـتُغلوا فهُـمُ مـن يأسِـهمْ ... لا يكـادون يَعـون الأنبيـاء

فحملـت "البعـثَ" بـاليُمنى لَهـم ... وعلـى اليُـسرى هنـاءً ورخـاء

وشـجبتَ الرفـقَ والرحمـةَ مـن ... نفـرٍ ليـسوا بحـقٍّ رُحَمـاء

ينـشُدون النـاسَ أحـراراً وهـم ... مـلأوا البيـتَ عبيـداً وإمـاء

وكَـسَوا كلـبَهُمُ الخـزَّ ومِـنْ ... حـولِهمْ يلتحـفُ الجمـعُ العـراء

---

(١) الثغاء: صوت الشاة والرغاء للإبل.

obeikandl.com

ووجـــدت الـــذئبَ في حالاتـــهِ رُبَّمـــا رافـــقَ مِعـــزاةً وشـــاء[1]

قـد يكـون الكـذبُ مفـضوحاً هُـراء ويكـون الـصدقُ مدسوسـاً وبـاء

ويكـون الحـقُّ ــ مـا بينَهمـا ــ بـاطلاً، والطـالحونَ الـصُلحاء

******

يـا ابنـةَ "النهـرين" هـذا نَـسَبٌ مـن وَلاءٍ لـو تقبَّلـتِ الـولاء

بَعُـدَ المَرْمـى بمـا اسـتهدفتهُ واختـذى الـسهمُ فقـصَّرتُ عيـاء

وارتمـى الحِـسُّ علـى الحـسِّ فمـا يـستطيعُ اللفـظُ للـوعي أداء

ومـن الظُلـمِ ــ الـذي تأبَيْنَـه ــ أن تـسومي المُعجـزاتِ الـشعراء[2]

عاطفـاتٌ حُـوَّمٌ عاجـت علـى أبْحُـرِ الـشعر فردَّتهـا ظمـاء

وهـي مـا كانـت لتُـدلي سـبباً لـك، لـولا أنَّهـا كانـت بَـراء

لم تُثِرهـا نـزوةُ الـنفس، ولم يَزهها العُجْـبُ ولم تنـبِضْ ريـاء

جُـلُّ مـا يُـسعِفُني الـشعرُ بـه أن يلبِّـي "الفـمُ" للقلـبِ نـداء

---

(١) الشاء: جمع شاة.

(٢) المعجزات: ما يعجز.

obeikandl.com

أبو العلاء المعري

ألقيت في مهرجان ذكرى أبو العلاء المعري، الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان الشاعر ممثلاً للعراق.

نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد ١١٢١ في ٥ تشرين الأول ١٩٤٤.

قِــفْ بــالمَعرَّةِ وامــسَحْ خَــدَّها التَّربــا
واســتَوحِ مَــنْ طَــوَّقَ الــدُّنيا بمَــا وَهَبــا[1]

واســتَوحِ مَــنْ طبَّــبَ الــدُّنيا بحكْمَتــهِ
ومَــنْ علــى جُرحهــا مِــن رُوحــه سَــكَبا

وســائلِ الحُفــرةَ المرمــوقَ جانِبُهــا
هــل تبتَغــي مَطْمَعــاً أو ترتجــي طلَبــاً؟

يــا بُــرجَ مفْخَــرةِ الاجــداث لا تهِــني
أنْ لم تُكــوني لأبــراج الــسَّما قُطُبــا

فكــلُّ نجــمٍ تمنَّــى في قَرارتــه
لــو أنَّــه بــشُعاعٍ منــكِ قــد جُــذبا

---

(١) الترب (بكسر الراء): الذي يكسوه التراب.

obeikandi.com

والمُلْهَـمَ الحـائرَ الجَبَّـارَ، هـل وَصَـلتْ
كَـفُّ الـرَّدى بحيـاةٍ بَعْـدَه سَـببا[1]؟

وهـل تَبـدَّلتَ رُوحـاً غـيرَ لاغبـةٍ
أم مـا تـزال كـأمسٍ تـشتكي اللَّغَبـا[2]؟

وهـل تخبَّـرْتَ أنْ لم يـألُ مُنْطلـقٌ
مـن حُـرِّ رأيـكَ يَطْـوي بعْـدكَ الحقَبـا[3]؟

أم انـتَ لا حِقبـاً تـدري، ولا مَقَـةً
ولا اجتـواءً، ولا بُـرءاً، ولا وصَـبا[4]؟

وهـل تـصَحَّحَ في عُقْبـاكَ مُقْـترحٌ
ممّـا تفكَـرتَ، أو حـدَّثتَ، أو كُتِبـا[5]؟

---

(١) الملهم منصوبة "بسائل" مضمرة.

(٢) اللاغبة: المتعبة.

(٣) لم يأل أي لم ينفك ولم يبرح.

(٤) المقة: الحب. والاجتواء: البغض.

(٥) تفكرت: بمعنى فكرت.

obeikandi.com

نَـــوِّرْ لَنـــا، إنَّنـــا في أيّ مُـــدَّلجٍ
ممَّـا تَـشكَّكْتَ، إنْ صِـدقاً وإنْ كـذبا[1]

"أبـا العـلاء"، وحتَّـى اليـومِ مـا بَرِحـتْ
صَـنَّاجةُ الـشّعر تُهـدي المـترفَ الطَّربـا[2]

يَـستنزلُ الفكـرَ مـن عَليـا مَنازلـهِ
رأسٌ ليمـسحَ مـن ذي نعمـةٍ ذنَبـا

وزُمـرةُ الأدبِ الكـابي بزُمرتـهِ
تفرَّقـتْ في ضَـلالاتِ الهـوى عُـصَبا

تَـصيَّدُ الجـاهَ والألقـابَ ناسـيةً
بـأنَّ في فكـرةٍ قُدسـيَّةٍ لقبـا

وأنَّ للعبقـريّ الفـذِّ واحـدةً
إمَّـا الخُلـودَ وإمَّـا المـالَ والنَّـشبا

مـن قبـلِ ألـفِ لَوَانَّـا نبتغـي عِظـةً
وعَظْتنَـا أنْ نـصونَ العلـمَ والأدبـا

******

(١) المُدلج: السائر في آخر الليل خاصة.

(٢) الصنج: من آلات الطرب وصناجات الشعر المغنون به والمرققون إياه.

obeikandi.com

على الحصيرِ... وكوزُ الماء يَرفدُه

وذِهنُه.. ورفوفٌ تحمِلُ الكتبا

أقامَ بالضَّجَّةِ الدُّنيا وأقعدَها

شيخٌ أطلَّ عليها مُشفقاً حَدِبا

بَكى لأوجاعِ ماضيها وحاضِرها

وشامَ مُستقْبلاً منها ومرتقَبا

وللكآبةِ ألوانٌ، وأفجعُها

أنْ تُبصرَ الفيلسوفَ الحُرَّ مكتئِبا

تناولَ الرثَّ من طبعٍ ومُصطلحٍ

بالنقدِ لا يتأبّى أيَّةً شجبا

وألهمَ الناسَ كي يَرضَوا مغبَّتهم

أن يُوسعوا العقلَ ميداناً ومُضطَربا[1]

وأن يمدُّوا به في كلِّ مُطَّرحٍ

وإنْ سُقوا من جَناه الويلَ والحربا

---

(١) المغبة: العاقبة.

لِثـــورةِ الفكـــرِ تـــأريخٌ يحـــدّثُنا
بـــأنَّ ألـــفَ مـــسيحٍ دونَهـــا صُـــلبا

إنَّ الـــذي ألهَـــبَ الأفـــلاكَ مِقولُـــه
والـــدَّهر ... لا رَغَبـــاً يرجـــو ولا رَهَبـــا..

لم يـــنسَ أنْ تـــشمَلَ الأنعـــامَ رحمتُـــهُ
ولا الطيـــور .. ولا أفراخَهـــا الزُغُبـــا

حَنـــا علـــى كـــلِّ مغـــصوبٍ فـــضمَّده
وشـــجَّ مَـــنْ كـــان، أيّـــاً كـــان، مُغتـــصبا

سَـــلِ المقـــاديرَ، هـــل لا زلـــتِ ســـادرةً
أمْ أنـــتِ خجلـــى لِمـــا أرهقتـــهِ نـــصَبا؟

وهـــل تعمَّـــدتِ أنْ أعطيـــتِ ســـائبةً
هـــذا الـــذي مـــن عظـــيمٍ مثلِـــه سُـــلبا

هـــذا الـــضياءَ الـــذي يَهـــدي لِمكْمَنِـــه
لِـــصّاً ويُرشـــدُ أفعـــى تنفُـــثُ العَطَبـــا

فـــإنْ فَخَـــرتِ بمـــا عوَّضـــتِ مـــن هبـــةٍ
فقـــد جنيـــتِ بمـــا حمَّلتـــهِ العـــصَبا

******

تلمَّـــسَ الحُـــسنَ لم يمـــدُدْ بمُبـــصرةٍ
ولا امتَـــرى دَرَّةً منهـــا ولا حَلبـــا[1]

ولا تنـــاولَ مـــن ألوانهـــا صُـــوراً
يَـــصُدُّ مبتعِـــدٌ مـــنهنَّ مُقتربـــا

لكـــنْ بأوســـعَ مـــن آفاقهـــا أمـــداً
رَحْبـــاً، وأرهـــفَ منهـــا جانبـــاً وشَـــبا

بعـــاطفٍ يتبنَّـــى كـــلَّ معـــتلِجٍ
خفَّاقـــهُ ويُزكّيـــهِ إذا انتـــسبا[2]

وحاضـــنٍ فُـــزَّعَ الأطيـــافِ أنزلهـــا
شِـــعافَه وحَباهـــا مَعقـــلاً أشِـــبا

******

رأسٌ مـن العَـصَبِ الـسامي علـى قَفَـصٍ
مـــن العظـــام، إلى مهزولـــةٍ عُـــصبا

---

(١) امترى: احتلب.

(٢) المقصود بـ "عاطف" هنا القلب وبـ "معتلج" ما يخالجه من العواطف.

obeikandi.com

أهــوى علــى كُــوَّةٍ في وجهــهِ قــدرٌ
فــسَدَّ بالظُلمــةِ الثُقــبينِ فاحتجبــا[1]

وقــال للعاطفــاتِ العاصــفاتِ بــهِ
ألآنَ فالتمــسي مــن حُكْمــهِ هربــا

ألآنَ يــشربُ مــا عتَّقــتِ لا طَفَحــاً
يَخــشى علــى خــاطرٍ منــه ولا حَببــا

ألآنَ قــولي إذا استوحــشتِ خافقَــه
هــذا "البــصيرُ" يُرينــا آيــةً عَجبــا

هــذا "البــصيرُ" يُرينــا بــين مُنــدرسٍ
رثِّ المعــالم، هــذا المرتَــعَ الخــصِبا[2]

******

(١) الكوة إشارة إلى دائرة العين ومركزها، والثقبان هما فتحتا العينين.

(٢) مندرس رث المعالم: يراد به أدبم الوجه المتأثر بانطماس العينين. والمرتع الخصب: يراد به عقل أبي العلاء المعري وروحه.

obeikandi.com

"زنجيَّـةُ الليـلِ" تَـروي كيـف قلَّـدها

في عُرسـها غُـرَرَ الأشـعار.. لا الـشُهُبا[1]

لعـلَّ بـينَ العَمـى في ليـلِ غُربتـه

وبـين فحمَتِهـا مـن أُلفَـةٍ نـسبا

و"سـاهرُ الـبرقِ" والـسُمَّارُ يـوقِظهم

بـالجزعِ يَخفـق مـن ذكـراه مُضطربا[2]

و"الفجـرُ" لـو لم يلُـذْ بالـصبح يَـشربه

مـن المطايـا ظِمـاءً شُـرَّعاً شُـربا[3]

والـصبحُ مـا زال مُـصفرّاً لمقرَنِـه

في الحُسْن بالليل يُزجي نحوه العتبا[4]

******

---

(١) البيت إشارة إلى بيت أبي العلاء المشهور:

لـيلتي هـذه عـروس مـن "الـزنج" عليهـا قلائـد مـن جمـان

(٢) إشارة إلى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضاً:

يـا "سـاهر البراق" أيقـظ راقـد السمر لعـل بـالجزع أعوانـاً علـى الـسهر

(٣) إشارة إلى بيته وهو أجمل وأرق ما سمع في وصف تبلج الصباح:

يكـاد الفجـر تـشربه المطايـا وتمـلأ منـه أوعيـة شـنان

(٤) إشارة إلى بيت له من قصيدته التي مر ذكر البيت السابق منها وهو:

رب ليـل كأنـه "الـصبح" في الحـسن وإن كـان أسـود الطيلـسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:

"عللانـي فـإن بـيض الأمـاني فنيـت والزمـان لـيس بفـان"

يـــا عاريـــاً مـــن نَتـــاجِ الحُـــبِّ تكرمـــةً
وناســـــجاً عَفَّـــــةً أبـــــرادَهُ القُـــــشُبا

نعـــوا عليـــكَ ــ وأنـــت النـــورُ ــ فلـــسفةً
ســـــوداءَ لا لـــــذَّةً تبغـــــي ولا طَربـــــا

وحمَّلـــوكَ ـــ وأنـــت النـــارُ لاهبـــةً ـــ
وِزرَ الـــــذي لا يُحـــــسُّ الحُـــــبَّ ملتهِبـــا

لا موجـــةُ الـــصَّدرِ بالنهـــدينِ تدفعـــه
ولا يَـــشقُّ طريقـــاً في الهـــوى سَـــربا

ولا تُدغـــــدغُ منـــــه لـــــذّةٌ حُلُمـــــاً
بـــل لا يُطيـــقُ حـــديثَ اللـــذَّةِ العـــذِبا

حاشـــاك، إنَّـــكَ أذكـــى في الهـــوى نفَـــساً
سَـــمْحاً، وأســـلسُ مـــنهمْ جانبـــاً رطِبـــا

لا أكـــــذبنَّكَ إنَّ الحُـــــبَّ مـــــتَّهمٌ
بـــالجَور يأخـــذ منَّـــا فـــوقَ مـــا وَهَبـــا

كــم شَــيَّعَ الأدبُ المفجــوعُ مُحتــضَراً

لــدى العيــونِ وعنــدَ الــصدر مُحتَــسَبا[1]

صَــرعى نَــشاوى بــأنَّ الخَــودَ لُعبــتُهم

حتــى إذا اســتَيقظوا كــانوا هُــمُ اللُّعبــا

أرتهُــمُ خــيرَ مــا في الــسّحْرِ مــن بُــدءٍ

وأضــمرتْ شَــرَّ مــا قــد أضــمرتْ عُقبــا

******

عــانَى لَظَــى الحُــبِّ "بــشَّارٌ" وعُــصبتهُ

فهــل ســوى أنَّهــم كــانوا لــه حطَبــا

وهــل سِــوى أنهــم راحــوا وقــد نــذروا

للحــبِّ مــا لم يَجــبْ مــنهم ومــا وَجَبــا

هــل كنــتَ تخلــدُ إذ ذابــوا وإذ غَــبرُوا

لــو لم تــرُضْ مِن جماحِ النفس ما صَعُبا

تــأبى انحــلالاً رســالاتٌ مقدَّســةٌ

جــاءت تقــوِّمُ هــذا العــالَمَ الخَربــا

******

(١) المحتضر: من أدركه الموت فأشرف عليه. والمحتسب: المفقود بالموت ويقال ذلك للكبير. فإن كان المفقود صغيراً قيل فيه "مفترط" بفتح الراء.

openkandi.com

يـــا حـــاقِرَ النبـــعِ مزهُـــوّاً بقوَّتـــهِ
وناصـــراً في مجـــالي ضـــعفِهِ الغَرَبـــا[1]

وشـــاجِبَ المـــوت مـــن هـــذا بأســـهمهِ
ومُـــــستمِنّاً لهـــــذا ظلَّـــــهُ الرَّحِبـــــا

ومُحـــرِجَ المُوسِـــرِ الطـــاغي بنعمتـــهِ
أنْ يُـــشرِكَ المُعـــسِرَ الخـــاوي بمـــا نهبـــا

والتَّـــــاجُ إذ تتحـــــدَّى رأسَ حاملـــــهِ
بـــأيِّ حـــقٍّ وإجمـــاعٍ بـــه اعتـــصبا

******

وهـــؤلاء الـــدُّعاةُ العـــاكفونَ علـــى
أوهـــامهم، صـــنماً يُهدونـــه القُرَبـــا[2]

الحـــابطونَ حيـــاةَ النـــاسَ قـــد مَـــسخوا
مـــا ســـنَّ شَـــرْعٌ ومـــا بـــالفطرةِ اكتُـــسبا

---

(١) النبع: شجر يعرف بقوته وتتخذ منه السهام والقسي. والغرب: شجر معروف بسهولة انكساره. ومعنى البيت الإشارة إلى شجب المعري القوة بكل مظاهرها، واحتضانه الضعفاء من كل جنس.

(٢) يريد بهم المشعوذين باسم الدين والذين يروجون للبدع وللخرافات ويضيقون آفاق الحياة على الجماهير.

obeikandl.com

والفـــــاتلونَ عثانينـــــاً مُهـــــرّأةً

ســـاءتْ لمحتطِـــبٍ مَرعـــى ومُحتطَبـــا[1]

والمُلـــصِقونَ بعـــرش الله مـــا نـــسجت

أطمـــاعهُم: بـــدَعَ الأهـــواءِ والرِّيبـــا

والحـــاكمونَ بمـــا تُـــوحي مطـــامعهُم

مـــؤوِّلينَ عليهـــا الجـــدَّ واللَّعبـــا

علـــى الجلـــودِ مـــن التـــدليس مَدرعـــةٌ

وفي العيـــونِ بريـــقٌ يخطَـــف الـــذهبا

مـــا كـــان أيُّ ضـــلالٍ جالبـــاً أبـــداً

هـذا الـشقاء الـذي باسـم الهُـدى جُلبـا!

أوسَـــعْتَهم قارصـــاتِ النقـــدِ لاذعـــةً

وقلـــتَ فـــيهم مَقـــالاً صـــادقاً عجبـــا

"صـاحَ الغـرابُ وصـاحَ الـشيخُ فالتبـستْ

مـــسالِكُ الأمـــر: أيٌّ منهمـــا نعبـــا"

******

(١) العثانين: جمع عثنون بالضم: اللحية.

obeikandl.com

أجللـــتُ فيـــك مـــن الميـــزات خالـــدةً

حُريَّـــةَ الفكـــرِ والحرمـــانَ والغـــضبا

مجموعـــةً قـــد وجـــدناهُنَّ مُفـــرَدةً

لـــدى ســـواكَ فمـــا أغنيننـــا أرَبـــا

فـــربِّ ثاقـــبِ رأيٍ حـــطَّ فكرتَـــه

غُـــنمٌ فـــسَفَّ .. وغطَّـــى نورَهـــا فخبـــا

وأثقلـــتْ مُتـــعُ الـــدُّنيا قوادِمـــهُ

فمـــا ارتقـــى صُـــعُداً حتّـــى ادَّنـــى صَـــبَبَا

بَـــدا لـــه الحـــقُّ عُريانـــاً فلـــم يَـــرهُ

ولاحَ مقتـــلُ ذي بغـــيٍ فمـــا ضَـــربا

وإنْ صـــدقتُ فمـــا في النـــاس مُرتكبـــاً

مثـــلُ الأديـــب أعـــانَ الجـــورَ فارتكبـــا

هـــذا الـــيراعُ، شـــواظُ الحـــقِّ أرهفـــه

ســـــيفاً وخـــــانعُ رأيٍ ردَّه خـــــشبا

ورُبَّ راضٍ مـــــن الحرمـــــان قِـــــسمَته

فـــبرِّرَ الـــصبرَ والحرمـــانَ والـــسغبا

أرضـــى، وإنْ لم يـــشأ، أطمـــاعَ طاغيـــةٍ
وحـــالَ دونَ ســـوادِ الـــشعب أن يثبـــا

وعـــوَّضَ النـــاسَ عـــن ذُلٍّ ومَتربَـــةٍ
مِـــنَ القناعـــةِ كنـــزاً مائجـــاً ذهبـــا!!

جـــيشٌ مـــن المُثُـــلِ الـــدُّنيا يَمُـــدُّ بـــه
ذوو المواهـــبِ جـــيشَ القـــوَّةِ اللَّجبـــا

******

آمنـــتُ بـــاللهِ والنـــورِ الـــذي رسمَـــتْ
بـــه الـــشرائعُ غُـــرّاً منهجـــاً لَحِبـــا

وصُـــنتُ كـــلَّ دُعـــاةِ الحـــقِّ عـــن زَيـــغٍ
والمُـــصلحينَ الهـــداةَ، العُجْـــمَ والعَرَبـــا

وقـــد حَمِـــدتُ شـــفيعاً لـــي علـــى رَشَـــدي
أُمّـــاً وجـــدتُ علـــى الإســـلامِ لـــي وأبـــا

لكـــنَّ بـــي جَنَفـــاً عـــن وعـــي فلـــسفةٍ
تقـــضي بـــأنَّ البرايـــا صُـــنِّفتْ رُتَبـــا[1]

وأنَّ مِـــن حِكمـــةٍ أنْ يجـــتني الرُّطبـــا
فـــردٌ بجَهـــد ألـــوفٍ تعلـــكُ الكَرَبـــا[2]

---

(١) الجنف: الميل والانحراف.

(٢) الكرب: أصول، سعف النخل.

obeikandl.com

أخي جعفر

ألقاها الشاعر مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٨ في الحفل الكبير الذي أُقيم في جامع الحيدرخانة في بغداد، لمناسبة مرور سبعة أيام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري وإخوانه من الشهداء في معركة الجسر الباسلة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨، ثورة على معاهدة "بورتسموث"... وكان يوم تشييع جنازته يوماً لم تشهد بغداد مثله في تاريخها الحديث.

نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد ١٨٣٦ في ١٥ شباط ١٩٤٨.

أتَعلَـــمُ أمْ أنـــتَ لا تَعلَـــمُ ... بـــأنَّ جِـــراحَ الـــضحايا فـــمُ

فَـــمٌ لـــيس كالمُـــدعي قولَـــةً ... ولـــيس كـــآخَرَ يَـــسترحِم

يـــصيحُ علـــى المُـــدْقِعينَ الجيـــاع ... أريقـــوا دمـــاءَكمُ تُطعَمـــوا[1]

ويهْتـــفُ بـــالنَّفَر المُهطِعـــين ... أهِينـــوا لِئـــامكمُ تُكرمـــوا[2]

******

أتعلَـــمُ أنَّ رِقـــابَ الطُغـــا ـــ ة أثقلَهـــا الغُـــنمُ والمـــأثَم

وأنّ بطـــونَ العُتـــاةِ الـــتي ... مِـن السُحتِ تَهضمُ ما تهضم[3]

وأنَّ البغـــيَّ الـــذي يـــدَّعي ... مـن المجـد مـا لم تَحُـزْ "مـريم"

---

(١) المدقع: الفقير المعدم.

(٢) المهطع: الذليل.

(٣) السحت: المال الحرام.

obeikandi.com

سَـــتَنْهَدُّ إن فـــارَ هـــذا الـــدمُ ... وصـوَّتَ هـذا الفـمُ الأعجـم[1]

فيـا لـكَ مِـن مَـرهمٍ مـا اهتـدى ... إليـــه الأُســـاة ومـــا رهَّمـــوا

ويـــا لـــكَ مـــن بلـــسمٍ يُـــشتَفى ... بـــه حـــينَ لا يُرتجـــى بَلـــسم

ويـــا لـــكَ مـــن مَبـــسمٍ عـــابسٍ ... ثغـــورُ الأمـــاني بـــه تَبـــسِم

أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الـــشهيد ... تَظَـــلُّ عـــن الثـــأر تـــستفهم

أتعلـــمُ أنّ جِـــراحَ الـــشهيد ... مـــن الجُـــوعِ تَهـــضمُ مـــا تَلـــهم

تَمُـــصُّ دمـــاً ثُـــم تبغـــي دمـــاً ... وتبقـــى تُلِـــحُّ وتـــستطعم

فقُـــلْ للمُقـــيمِ علـــى ذُلّـــهِ ... هجينـــاً يُـــسخَّرُ أو يُلجَـــم

تَقَحَّـمْ، لُعِنْـتَ، أزيـزَ الرَّصـاص ... وجَـرِّبْ مـن الحـظِّ مـا يُقـسم

وخُضْها كما خاضَها الأسبقون ... وثَـــنِّ بمـــا افتـــتحَ الأقـــدم

فإمَّـــا إلى حيـــثُ تبـــدو الحيـــاة ... لِعينيْـــكَ مَكْرُمـــةً تُغْـــنَم

وإمَّـــا إلى جَـــدَثٍ لم يكُـــنْ ... ليفـــضُله بيتُـــكَ المُظلـــم

******

(١) ستنهد: الفاعل يعود على الأشياء في الأبيات الثلاثة السابقة.

obeikandl.com

تَقَحَّمْ، لُعِنتَ، فما ترتَجي ... مِن العيش عن وِرده تُحرم؟

أأوجعُ مِن أنَّك المُزدرى ... وأقتلُ من أنَّك المُعدِم؟

تقحَّمْ فمنْ ذا يَخوضُ المنون ... إذا عافها الأنكدُ الأشأم؟

تقحَّمْ فمن ذا يلومُ البطين ... إذا كان مثلُكَ لا يَقْحَم؟

يقولون مَن هم أولاءِ الرَّعاعُ ... فأفهِمْهُمُ بدَمٍ مَنْ هُم

وأفهِمْهُمُ بدمٍ أنَّهمْ ... عَبيدُكَ إنْ تَدعْهُمُ يَخدُموا

وأنَّك أشرفُ من خيرِهمْ ... وكعبُك مِن خدّهِ أكرم

******

أخي "جعفراً" يا رُواءَ الربيع ... إلى عَفنٍ باردٍ يُسلَم[1]

ويا زَهرةً من رياض الخُلود ... تَغوَّلها عاصفٌ مُرزِم[2]

ويا قَبساً من لهيبِ الحياة ... خَبا حين شبَّ له مَضْرَم[3]

ويا طلعةَ البِشر إذ ينجلي ... ويا ضحكةَ الفجر إذ يَبسِم

لَثَمْتُ جراحكَ في "فتحةٍ" ... هي المُصحفُ الطُهرُ إذ يُلثَم[4]

---

(١) العفن البارد: يراد به هنا القبر. ورواء الربيع: بهاؤه ولطفه.

(٢) المرزم: المرنان الصخاب.

(٣) مضرم: فاعل لشب وهو مصدر ميمي بمعنى الضرام كأنه يقول: شب ضرامه.

(٤) الفتحة: هنا إشارة إلى فوهة الجرح المفتوحة.

obeikandl.com

وقبَّلْتُ صدرَك حيثُ الصَّميم ... من القلب، مُنْحرِفاً، يُخْرَم

وحيثُ تُلوذُ طيورُ المُنى ... به فهيَ، مُفزعَةً، حُوَّم

وحيثُ استقرَّت صِفاتُ الرجال ... وضَمَّ معادِنَها مَنجَم[1]

ورَبَّتُّ خدّاً بماءِ الشباب ... يرفُّ كما نوّر البُرعُم[2]

ومسِّحتُ مِن خُصَلٍ تَدَّلي ... عليه كما يَفعلُ المُغرم

وعلَّلتُ نفسي بذوبِ الصديد ... كما علَّلتْ وارداً "زمزم"

ولقَّطتُ مِن زبدٍ طافحٍ ... بثَغرك شهداً هو العَلْقَم[3]

وعوَّضتَ عن قُبلتي قُبلةً ... عَصَرْتَ بها كل ما يؤلِم

عَصَرْتَ بها الذكرياتِ التي ... تَقَضَّتْ كما يَحْلُمُ النُوَّم

---

(١) حيث استقرت صفات الرجال يراد به القلب الذي منه تنبعث عناصر القوة.

(٢) ربت بتشديد الباء أي ضرب بلطف.

(٣) البيت وما بعده إشارة إلى واقعة حال كان فيها الشاعر ينحني على أخيه وهو في الرمق الأخير ليقبله وكان من الشهيد أن قبّله هو أيضاً.

obeikandl.com

أخـي "جعفـراً" إنّ رجـعَ الـسنيـ ـ ـن بَعْـدك عنـدي صَـدىً مُـبْهم

ثلاثــونَ رُحْنــا عليهــا معــاً نعــذَّبُ حِينــاً ونــستنعِم[1]

نُكــافحُ دهــراً ويستَــسْلمُ ونُغلــبُ طــوراً ونَسْتَــسْلِم

******

أخـي "جعفـراً" لا أقـولُ الخيـال وذو الثــأرِ يَقْظــانُ لا يَحلُــم

ولكــنْ بمــا أُلهــمَ الــصابرون وقــد يقــرأُ الغيــبَ مُــستَلهِم

أرى أُفُقــاً بنجيــع الــدماء تَنــوَّر، واختفــتِ الأنجــم

وحــبلاً مــن الأرض يُرقــى بــه كمــا قــذفَ الــصاعدَ الــسُلَّم

إذا مــدَّ كفّــاً لــه ناكــثٌ تــصدَّى ليقطَعهــا مُبْــرِم

تكــوَّر مــن جُثــثٍ حولَــهُ ضِــخامٍ وأمجادُهــا أضــخم

وكفــاً تُمــدُّ وراءَ الحجــاب فترسُــمُ في الأفْــقِ مــا تَرسُــم

وجــيلاً يَــروحُ وجــيلاً يجــيء ونــاراً إزاءَهمــا تُــضرَم

******

(١) ثلاثون: إشارة إلى الثلاثين عاماً التي هي عمر الفقيد.

obeikandl.com

أُنبِّيـــكَ أنّ الحِمـــى مُلْهَـــبٌ ... ووادِيـــه مـــن ألمٍ مُفعَـــم

ويـــا وَيْـــحَ خانقـــةٍ مِـــن غـــدٍ ... إذا نَفَّـــسَ الغـــدُ مـــا يَكظـــم

وأنّ الـــدماءَ الـــتي طلّهـــا ... مُـــدِلٌّ بـــشُرطتهِ مُعـــرم[1]

تَنَـضَّحُ مـن صـدرك المُستطاب ... نزيفـــاً إلى الله يَـــستظلِم

ســتبقى طـويلاً تَجُـرُّ الـدماء ... ولَـــنْ يُـــبرِدَ الـــدمَ إلاّ الـــدم

وأنَّ الـــصدورَ الـــتي فلَّهـــا ... وأبـــدعَ في فلِّهـــا مُجْـــرم

ونَثَّـــرَ أضـــلاعَها نَثْـــرةً ... شَـتاتاً كمـا صُـرّفَ الـدرهم

سَتَحْـضُنُها مـن صُدور الـشباب ... قَـساةٌ علـى الحـقِّ لا تـرحم

******

أخـي "جعفـراً" إنّ عِلـمَ الـيقين ... أُنبِّيـــكَ إنْ كنـــتَ تـــستعلِم

صُـرِعْتَ فحامـتْ عليـك القلـوب ... وخـــفَّ لـــك المـــلأُ الأعظَـــم

وسُـــدَّ الـــرُواقُ، فـــلا مَخـــرجٌ ... وضـاقَ الطريـقُ، فـلا مَخـرم[2]

---

(١) طل الدم: أراقه. و"المُعرم": المتجبر الذي يأخذ الناس بالظنة، وبما لم يجنوا، من فعل "أعرم".

(٢) المخرم: طريق في الجبل يريد به أي طريق.

obeikandl.com

وأبلـغَ عنـك الجَنـوبُ الـشَّمال وعـزَّى بـك المُعـرِقَ المُـشئِم[1]

وشَـقَّ علـى "الهـاتِف" الهـاتفون وضـجَّ مـن الأسـطُرِ المِـرقَم[2]

تعلَّمـتَ كيـف تَمـوتُ الرجـال وكيـف يُقـامُ لهـمْ مـأتَم

وكيـف تُجـرُّ إليـك الجمـوعُ كمـا انجـرَّ للحَـرمِ المُحـرِم

******

ضـحِكتُ وقـد هَمْهَـمَ الـسائلون وشـقَّ علـى السمعِ مـا همهمـوا[3]

يقولـون مِـتَّ وعنـد الأُسـا ـ ـةِ غـيرَ الـذي زَعَمـوا مَـزعَم

وأنـتَ مُعـافى كمـا نرتجـي وأنـت عزيـزٌ كمـا تعلَـم

ضـحِكتُ وقلـتُ هنيئـاً لهـم ومـا لفَّقـوا عنـك أو رجَّمـوا

فهـم يبتغُـون دمـاً يـشتفي بـه الأرمـدُ العـينِ والأجـذم[4]

---

(١) المعرق والمشئم: أي العراقي والشامي.

(٢) المرقم: القلم.

(٣) الهمهمة: الكلام الخفي.

(٤) الأجذم: المجذوم المصاب بالجذام.

obeikandl.com

دمـاً يُكـذِبُ المخلـصونَ الأبـاةُ ... بـه المـارقينَ ومـا قـسَّموا

وهـم يبتغـونَ دمـاً تلتقـي ... عليـهِ القُلـوبُ وتـستَلئم[1]

إلى أنْ صَـدَقْتَ لهـمْ ظَـنَّهم ... فيـا لـكَ مـن غـارمٍ يَغـنَم

فهـمْ بـك أولى فلمَّـا نَـزَل ... كجَـذْرٍ علـى عَـددٍ يُقـسم

وهـم بـك أولى, وإن رُوِّعـت ... "عجـوز" علـى فلـذةٍ تلطِـم

وتكفُـرُ أن الـسما لم تعُـدْ ... تُغيـثُ حَريبـاً, ولا تَـرْحَم

وأُختٌ تـشُقُّ عليـك الجيـوب ... فيُغـرزُ في صـدرها معـصم

تناشـد عنـك بريـق النُّجـوم ... لعلَّـك مِـن بينهـا تـنجُم

وتَـزْعَمُ أنَّـك تـأتي الـصَّباحَ ... وقـد كـذَّبَ القـبرُ مـا تَـزْعُم

لِيَـشْمَخْ بفقـدِكَ أنـفُ الـبلاد ... وأنفـي، وأنفُهـم مُـرغم

******

أخـي "جعفـراً" بعُهـود الإخـا ـــ ء خالـصَةً بيننـا أُقـسِم

وبالـدمع بعـدَكَ لا يَنـثني ... وبـالحُزنِ بَعـدَكَ لا يُهـزم

وبالبيـتِ تغمـرُهُ وحـشةٌ ... كقـبرك يَـسأل هـل تقـدِم

وبالـصحب والأهـلِ "يستغربون" ... لأنَّـك منحـرفٌ عـنهُم

---

(١) تستلئم: يريد تتجمع.

يمينـــاً لتَنهَـــشُني الـــذكريات عليـــك كمـــا يَـــنهش الأرقـــم[1]

إذا عـــــادني شـــــبحٌ مُفـــــرحٌ تـــصدَّى لـــه شـــبحٌ مـــؤلِم

وأنّـــيَ عُـــودٌ بكـــفِّ الريـــا ـــ ـــحِ يـــسأل منهـــا متـــى يُقـــصَم

أخـــي "جعفـــراً" وشـــجونُ الأســـى ستَـــصرِم حبلـــي ولا تُـــصرَم[2]

أزحْ عـــن حَـــشاك غُشـــاءَ الـــضمير ولا تكتُمَنّـــي فـــلا أكـــتُم[3]

فـــإنْ كـــانَ عنـــدكَ مِـــن مَعتَـــبٍ فعنـــدي أضـــعافُه مَنْـــدَم

وإن كنـــتَ فيمـــا امتُحِنَّـــا بـــه ومـــا مـــسَّنا قَـــدَرٌ محْكَـــم

تُخَـــرِّجُ عُـــذراً يُـــسلّي أَخـــاً فأنـــت المُـــدِلُّ بـــه المُـــنعِم

عـــصارةُ عُمـــرٍ بـــشتّى الـــصنُوف ملـــيءٍ كمـــا شُـــحِنَ المُعْجَـــم

بـــه مـــا أُطيـــقُ دفاعـــاً بـــه ومـــا هـــو لـــي مُخْـــرِسٌ مُلجِـــم

أســـالتْ ثـــراك دمـــوعُ الـــشباب ونـــوَّر منـــك الـــضريحَ الـــدم

---

(١) الأرقم: الأفعى.

(٢) صرم: قطع.

(٣) الغثاء: ما يخالط الضمير من كدرة. وأزح: أي صرح.

obeikandl.com

obeikandl.com

عبد الحميد كرامي

ألقاها الشاعر في الحفلة التي أقامتها لجنة تأبين عبد الحميد كرامي في بيروت عام ١٩٥٠.. وكان الشاعر قد لبى دعوة اللجنة إياه للاشتراك في الحفل المذكور بعد إلحاح شديد تضمنته برقيات ورسائل عديدة.. وكان للقصيدة صداها وأثرها البليغان في كل أرجاء لبنان.. ونشرتها عد صحف في بيروت, وأعادت نشرها أكثر من مرة..

كانت الوزارة القائمة, حين إلقاء القصيدة, هي وزارة رياض الصلح.. وبعد يومين استقالت الوزارة وشكلها حسن العويني.. وقد دشنت الوزارة الجديدة أعمالها ب "طرد" الجواهري من لبنان!

وللعلم فإن العويني رئيس الوزراء الجديد, والصلح رئيس لوزراء المستقيل كانا من أعضاء لجنة التأبين التي دعت الشاعر لحضوره والمشاركة فيه!

لقد أثار حادث الطرد هذا ضجة كبيرة, في لبنان والعراق ومصر.. وشاركت معظم الصحف اللبنانية في الاحتجاج الشديد على هذا الحادث..

ونكتفي, هنا, بما كتبه الدكتور "جورج حنا" في جريدة "النهار".. قال:

"لا يعيب لبنان شيء أكثر مما يعيبه تحقيره للفكر واضطهاده المفكرين. فهذا البلد الذي طالما تمنينا بأن يلصق به لقب بلد الإشعاع ما فتئ القائمون على أمره لإزالة هذا اللقب عنه.

بعد كل الاضطهادات التي استهدف لها رجال القلم والأدب والفكر الحر, تتوج الدوائر المختصة قائمتها بطردها من لبنان محمد مهدي الجواهري شاعر العرب الأكبر.

obeikandl.com

قصيدة الجواهري في حفلة المغفور له عبد الحميد كرامي لم تكن جوهرة شعرية وأدبية وحسب، وإنما كانت أجمل لوحة يرسمها فنان عن العالم العربي.

ماذا قال الجواهري، وبماذا كفر لكي يطرد من بلد بعث إليه بعشرين رجاء قبل أن يأتي إليه؟ ومن هو الذي غضب على الجواهري، لأن الجواهري ثائر على الاستعمار ودعاة المستعمرين؟.

وأي لبناني، بل أي عربي، يجرؤ على الجهر برأي مخالف لرأي الجواهري؟..

والله ما كنا نريد أن يكون طرد الجواهري من لبنان فاتحة عهد هذه الوزارة.. لقد كنّا نأمل منها غير ذلك.

بقي أن نسأل:

من الذي طرد الجواهري من لبنان؟.

obeikandl.com

بـــاقٍ ــ وأعمـــارُ الطُّغـــاةِ قـــصارُ ــ مـــن ســـفرِ مجـــدكَ عـــاطرٌ مَـــوّارُ

متجـــاوبَ الأصـــداءِ نفـــحُ عـــبيره لُطْـــفٌ. ونفـــحُ شَـــذاتِهِ إعـــصار

رفَّ الـــضميرُ عليـــه فهـــو منـــوَّرٌ طُهـــراً كمـــا يتفـــتَّحُ النُـــوّار

وذكـــا بـــه وهَـــجُ الإبـــاء فـــردَّه وَقْـــداً يُـــشبُّ كمـــا تُـــشبُّ النـــار

العمـــرُ عُمْـــرُ الخالـــدينَ يَمُـــدُّه فَلَـــكٌ بطيـــبِ نثـــاهمُ دوّار[1]

يـــتمخَّضُ التـــاريخُ في أعقـــابهمْ حَمْـــداً, وتعـــصِفُ ليلـــةٌ ونهـــار

أمـــا النُّفـــوسُ الزّاخـــراتُ عروقُهـــا بالمُغريـــاتِ فنَـــشوةٌ وخُمـــار

******

عبـدَ الحميـدِ وكـلُّ مجـدٍ كـاذبٌ إنْ لم يُـصَنْ للـشعبِ فيـه ذمـارُ

والمجـدُ أن تُهـدي حياتـكَ كلـها للنـــاسِ لا بـــرمٌ ولا إقتـــار

والمجـدُ أن يَحميْـكَ مجـدك وحـده في النـاسِ.. لا شُـرَطٌ ولا أنـصار

والمجـدُ إشـعاعُ الـضمير لـضوئهِ تهفـو القُلـوبُ, وتَـشْخَص الأبـصار

والمجـدُ جبّـارٌ علـى أعتابـه تهـوي الـرؤوسُ.. ويـسقط الجبـار

******

(١) النثا: الذِكر.

جانبتَ مزلَقَةَ الطُّغاةِ وإنها ... بالوردِ تُفرشُ والنُضار تُنار

وسلكتَ نهجَ المخلصينَ وإنه ... أسَلٌ يُخضَّبُ من دمٍ وشِفار[1]

لو كنتَ تستامُ الحياةَ رخيصةً ... وافاك منها مغنمٌ وتِجار

ولو ارتضيتَ الحكم أعرجَ أهوجاً ... لمشْت إليكَ عَجولةً أوطار

جئتَ الوِزارةَ ليلةً ونهارها ... فرأيتَ كيفَ تَرَاكمُ الأوزار

ورأيتَ كيفَ الحكمُ يشمَخُ كاذباً ... في حينَ يملأ دفَّتيهِ العار

ولَمستَ كرسياً يُرَجُّ كأنه ... نعْشٌ يُدقُّ بجنبهِ مِسمار

ورأيتَ إذ "باريسُ" شلَّتْ كفُّها ... كيفَ اصطفاهُ بلندنٍ نجار

فنفضتَ كفَّكَ من حُطامٍ عندَه ... يَخزى البنونَ وتخجَلُ الأسفار

وخرجتَ موفورَ الكرامةِ عالِقاً ... مِن فوقِ مَفْرِقكَ الأغرِّ الغار

بُوركتِ خالصةَ الضميرِ فإنكِ الـ ... ـجناتُ تجري تحتَها الأنهار

قد كانَ وُسْعَكَ أنْ تغالِطَ ذِمَّةً ... أو أنْ تغرِّرَ والهوى غرّار

---

(١) الأسل: الرماح. الشفرة: حد السيف.

وتقولُ: كنتُ وكانَ صُنعَ معاشرٍ ... أعطَوا يداً للأجنبيِّ وساروا

أو أنْ تسمي "الشرَّ" يُهلكُ أمَّةً ... خيراً كما يتصنَّع الأشرار

أو أنْ تجيءَ "النفعَ" وِتراً أجذماً ... في حينَ تُشفعُ عندَه الأضرار[1]

حُوشيتَ ما قِيَمُ الرجال إذا ارتمى ... منها الضمير وصوَّح الإيثار

لا يقدِرُ الحرمانَ مما يُشتَهَى ... ويُتاحُ.. إلاّ القادةُ الأبرار

لا بُدَّ أن يَعرى ــ وإن طالَ المدى ... بالناسِ ــ موهوبُ الثياب مُعار

******

إيهٍ "كرامةُ" والقريضُ وسيلةٌ ... للخيرِ لا خمرٌ ولا أسمار

يُلوى من الخيلِ الجيادِ عنانُها ... حتى يُتاحَ لرَكضها مِضمار

ومزيَّة الزعماءِ أنَّ حياتَهمْ ... خِصبٌ وأنَّ مماتَهم إثمار

فإذا ذَكَرْتُ بكَ البلادَ فعاذِرٌ ... فهي الحبيبُ لنفسكَ المختار

عبد الحميدِ وما تزالُ كعهدِها: ... شَعْبٌ يُذَلُ وأُمةٌ تنهار

---

(١) الأجذم: المقطوع.

ومسلَّطونَ على الشعوبِ برغمها ... السوطُ يدفعُ عنهمُ والنار

وصِحافةٌ صِفرُ الضميرِ كأنها ... سِلَعٌ تباعُ، وتُشتري، وتُعار

ومُبصبصونَ كأنهم عن غيرهم ... مِسخٌ، ومن آثامه آثار

يتهافتونَ على مواطئ أرجُلٍ ... يُومى لهمْ بكعُوبها ويُشار

قدرٌ أناخَ على البلادِ بكلكل ... فنبا بهِ متنٌ، وزلَّ فَقار

وغمامةٌ سوداءُ رانَ جِرانُها ... عَنتاً فلا غيثٌ ولا إِصحار[1]

لُبنانُ يا بلدَ الصَّباحةِ تُجتلى ... والعلمِ يُقطف، والنُّهى تُشتار[2]

يا موطِنَ الأحرارِ حينَ يَسومُهم ... خَسْفٌ. وحينُ تُشرَّدُ الأحرار

ناغيتُ حُسنَكَ والصِّبا لي شافعٌ ... ومسحتُ تُربَكَ والهوى ليَ دار

وأثرتَ مِن "قيثارتي" فتجاوَبتْ ... بحفيفِ "أرْزِكَ" تلكمُ الأوتار

ومشت تُذيعُ على القوافي عطرها ... وجمالَها الأنجادُ والأغوارُ

******

(١) ران: هيمن، وقع ولم يمكن الخروج منه. جران البعير مقدم عنقه يريد ثقل الغمامة.

(٢) تشتار: تجنى كما يجنى العسل.

حتـــى إذا زحـــمَ الـــشبابَ ولُطفَـــه ... ثِقـــلُ الحيـــاةِ تحطَّـــم القيثـــار

ونهـــضتُ للمُحتـــلِّ أرضَـــك, بطـــشُهُ ... أشِـــرٌ, وسَـــوْطُ عَذابـــه هـــدّار

ومُنعـــتُ أنْ أغـــشى ربوعَـــك بعـــدها ... أو أنْ أزورَكَ, و"الحبيـــبُ يـــزارُ"[1]

وظلِلـــتُ أرقُـــبُ يـــومَ يُوثَـــقُ آسِـــر ... عـــاتٍ, ويـــومَ يُفـــكُّ عنـــك إسـار

أسَـــفاً فقـــد أنهـــتْ إلـــيَّ ــ مـــشوبةً ... بـــالحزنِ ـ يـــومَ خـــلا صِـــكَ الأخبـــار

أهداكَـــهُ إذ فـــرَّ جحفـــلُ غاصـــبٍ ... جـــيشٌ لآخـــرَ غاصـــبٍ جـــرّار

وبـــدا يُزَحـــزحُ عـــن سمـــاكَ مـــذنَّباً ... رجْـــمٌ ســـواهُ مُـــذنَّبٌ ســـيّار

******

لُبنـــانُ نجـــوى مُـــرَّةٌ وسِـــرارُ ... إنّـــا بحُكْـــمِ بَلائِنـــا سُـــمَّارُ

مـــاذا يُـــرادُ بنـــا؟ وأيـــنَ يُـــسارُ؟ ... والليـــلُ داجٍ, والطريـــقُ عِثـــار

والـــوحشُ يـــربِض في الثنايـــا مُنـــذِراً ... والمـــوتُ جـــآرٌ بهـــا زآر

---

(١) التضمين من بيت لجرير في زوجته.

أعُقــــابُ لُبنـــانٍ تـــدنَّسُ وَكـــرَهُ للأجـــنبيِّ قواعـــدٌ ومَطـــار؟

أو بحـــرُهُ نَبْـــعُ الفَخـــارِ يـــشقُّه في كـــلِّ يـــومٍ مـــنهمُ بحَّـــار؟

أوَ فخـــرُ مُنهـــاضِ الجَنـــاحِ بأنـــه بجنـــاحِ أقـــتمَ كاســـرٍ طيَّـــار[1]

اليـــومَ ينـــزلُ عِـــشَّهُ ويدوسُـــه لا الـــرِّيشُ يُنجـــدهُ ولا المنقـــار

وغـــداً يُلقَّفـــهُ وينتِـــقُ ريـــشَه فيمـــا يلقَّـــفُ أجـــدلٌ جبـــار[2]

******

أشـــباب لُبنـــانٍ يُـــضامُ لأنـــه يقِـظٌ علـى عُقبـى المـصيرِ يَغـارُ؟

أ لِمِـثلِهم صـاغَ القُيـونُ حَديـدَهم؟ وبنـى الـسُّجونَ لِمثلـهم مِعمـار؟[3]

هـل غيرُهـم حطـبُ الـوغى إنْ شبَّها بـــاغٍ وعـــمَّ الخـــافِقَينِ أُوار؟[4]

أوَ غيرُهـــم يَـــسقي الثغـــورَ دمـــاءَه لتمـــرَّ منهـــا غـــدرةٌ وفَجـــار

الـــسوطُ ذُلٌّ لا تُقِـــرُّ هوانَـــه إلاّ بـــسلخِ جلودهـــا الأبقـــار

والـسِّجنُ لـو علمـتْ مَـن الثـاوي بـه لتـــساقطتْ ببناتِـــه الأحجـــار

******

(١) الأقتم: أغبر اللون.

(٢) الأجدل: الصقر.

(٣) القيون: جمع القين وهو الحداد.

(٤) الأوار: اللهب.

obeikandi.com

كنّا لكُم نعمَ النذير لو أرعوى ... غاوٍ, ولو ألوى بهِ إنذار

ما أشبه التاريخ, دامي جُرحنا ... كجروحكمْ بأكفنا نغّار

كانَ الغريبُ, وكانَ بغيٌّ سافرٌ ... ولقد يُهوِّنُ مُنكَراً إسفار

جُمعتْ به شتى الصُّفوفِ, ووُحِّدتْ ... شتى القُلوبِ, ونامتِ الأوغار

وتوضحتْ فيه المعالمُ لم تُشَبْ ... دَجلاً, ولم تُطمَس بها الآثار

وبهِ تكشَّفَ كلُّ أربدَ حالكٍ ... داجٍ, كما تتكشفُ الأقمار!

وتمايزتْ ــ للمؤثرينَ نفوسَهم ... والمؤثرينَ بلادَهم ــ أقدار

قد كانَ ميدانُ الجهادِ يَسوده ... حُكمانِ: وَقْدٌ جاحمٌ, وفِرار

كُبَّتْ به الهوجُ الهجانُ لوجهها ... وحوى الجيادَ كريمةً مِضمار

وهفا الدَّعيُّ فلم يُفاخِرْ أنَّه ... يعلوهُ من رهَجِ الجهادِ غُبار!

******

حتى إذا لُقِحَتْ قبيلَ أوانها ... شعواءُ يجهلُ كُنهَها الثُوّار

ومضى بوِزرِ مُغامرٍ ومُتاجرٍ ... ومُبرِّرٍ شهداؤها الأبرار

obeikandl.com

ألقـــى لنـــا المُـــستعمرونَ عِـــصابةً ... كانـــتْ تـــضُمُّ شَـــتاتَهم أجحـــار

مِـن حاضني حكمِ الـدخيلِ, وناصري ... ســـــلطانهِ إنْ عـــــزَّه الأنـــــصار

ممـــن بـــلا "لـــورانسُ" صِـدقَ وَلائهـم ... للتـــــاجِ لا دَغـــــلٌ ولا إســـــرار

راحُـــوا فمـــا بكـــتِ الـــديارُ علـــيهمُ ... وغَـــدوا فلـــم يَفـــرَحْ بهـــمْ ديّـــار

وبَنـــوا لنـــا بيتـــاً أقمنـــا عُـــشْرَهُ ... ولمـــنْ هنـــاكَ التـــسعةُ الأعـــشار

ثـــم انكفأنـــا نـــصطلي بوقيـــدةٍ ... نحـــنُ الوقـــودُ لهـــا, ونحـــنُ النـــار

وانـــصاعَ يـــدفعُ مـــن دمـــاءٍ جزيـــةً ... شـــعبٌ تُغِـــلُّ جهـــودَه أنفـــار

وتخربـــتْ ــ لتُـــسدَّ أجـــواز الـــسما ... تلـــكَ القـــصورُ ـ مـــن الجمـــوعِ ديـــار

وبـــدتْ علـــى تلـــك الملايـــينِ الـــتي ... شـــرَتِ الحريـــرَ لغيرهـــا, أطمـــار

وأفـــاقَ مخـــدوعاً ليَـــسمعَ هاتفـــاً ... "خـــفَّ الهـــوى وتقـــضَّتِ الأوطـــار"[1]

وتـــساءلوا فـــيمَ اســـتجدُّوا ثـــورةً؟ ... وعلى مَنِ امتشقوا الحسامَ وثاروا؟

---

(١) التضمين من مطلع قصيدة أبي تمام:

لا أنـــت أنـــت ولا الـــديار ديـــار ... خـــف الهـــوى وتولـــت الأوطـــار

obeikandl.com

أعلى الدخيلِ السامريِّ ومثلُه ... وأمرُّ منه عِجلُه الخوار

ولأجلِ مَنْ؟ ألمنْ مضَوا ببقيةٍ ... رأفَ الغريبُ بمثلها, وأغاروا؟

ألأجلِ أن يُسقى الطغاةُ دماءَهم, ... ولهم ـ إذا رَفَقوا بهم ـ أسآر؟[1]

تلكَ الثلاثونَ العِجافُ, أذلَّها ... سوطُ الرُّعاة, ومسَّها الإضرار[2]

جَمَدتْ على الجِلْدِ اليبيس ضروعُها ... من فرطِ ما احتُلبتْ لها أشطار

لم تُبقِ منها الطارئاتُ جُزازةً ... لو كانَ يَعرفُ رحمةً جزّار

******

سرعان ما خفق اللواء, وشرعت ... نظم, وقامت دولة وشعار

الجور صُلْبُ كيانها, ونظامها ... الإقطاعُ والإذلالُ والإفقار

لم يبق شبر لم تنله معرة ... أو لم تنشه مذلة وصغار

وبكل آونة فويق بُناته ... ينقضُّ من هذا البناء جدار

صور مزيفة كأن نحاسَها ... من فرط ما لمع الطلاء نضار

******

(١) الأسآر: جمع سؤر وهو البقية في قعر الإناء.

(٢) الثلاثون: الثلاثون عاماً التي مرت على ثورة العشرين, فقد نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٥٠.

كنا نشاجر ـ حين نرحل ـ غاصباً ... إذ كان بين الغاضبين شجار

واليومَ والوحي الملقِّن واحدٌ ... حُجُزٌ توحد بيننا وحصار

والأمنُ كان وكان معنى فَقْده ... أن البلاد تحفها أخطار

فإذا به شبح تهدد أُسَّه ... صحف, وتنسف ركنه أشعار

كنا نقيم الكون حين يمسنا ... ضرٌّ, وحين يهُدنا إعصار

والآن نحن إذا اشتكينا غاصباً ... قالوا: أولاءَ بنوكُمُ الأخيار!

"ممن حملن بهم وهن عواقد ... حُبكَ النطاق" حرائر أطهار![1]

أولاء لأنتم غير أن إطارهم ... منا, وبئست صورة وإطار!

ولنحن أعرف من هم ولمن هم ... ولمن تمثل هذه الأدوار!

ومن المصرف من فضولِ عِنانهم ... ولمن يعود الورد والإصدار!

******

تنهى وتأمر ما تشاء عصابة ... ينهى ويأمر فوقها استعمار

خويت خزائنها لما عصفت بها الشـ ـ ـهوات, والاسباط, والأصهار

---

(١) التضمين من بيت أبي كبير الهذلي:

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فشب غير مهبل

obeikandl.com

واستنجدت ـ ودمُ الشعوب ضمانها ... ورفاهها ـــ فأمدها "الدُّولار"

يلوى به عصب البلاد, وتشترى ... ذمم الرجال, وتحجز الأفكار

عرفوا مصايرهم إذا جلى غد ... في المشرقين, ولاحت الأنوار

وإذا استوى أجل فزعزع طارئ ... عاتٍ, وقر من الشعوب قرار

ورأوا بأعينهم فجيعة أهلها ... إذ عرسوا, وحبورهم إذ طاروا[1]

وتيقنوا أن لا وجار يقيهم ... حتفاً, وللضب الضليل وجار[2]

فهُمُ وفرط الحقد لاث دماءهم ... كلَبٌ بهم لدمائنا وسُعار

وهمُ يَجِدّون الأظافرَ منهم ... علماً بيوم تقلمُ الأظفار

******

قلنا لهم: فيم اللجاجة والسما ... تعطي وتمنع, والقضا غدار؟

وعلامَ يشتط الممثل منكم ... رفقاً بساعةِ ترفعُ الأستار؟

وعلامَ يوغل في الحماسة راقصٌ ... بأشدَّ مما ينفخُ الزمار؟!

وعلامَ يسدُرُ في الصبابة سادرٌ ... وعلامَ يُخلعُ في الغرام عذار؟

---

(١) عرسوا... وطاروا: يقصد أقاموا... ورحلوا

(٢) الوجار: بفتح الواو وكسره: جحر الضب وغيره.

obeikandl.com

قلنـــا لهـــم: إن الـــشعوب منيخـــةٌ ... أبـــداً, وحكـــام الـــشعوب ســـفار[1]

قلنـــا لهـــم: إن الـــنبي محمـــداً ... يـــأبى الخنـــى والواحـــد القهـــار

قلنـــا لهـــم: إن البيـــاض لَـــشحمةٌ ... والليـــل ليـــل والنهـــار نهـــار

فـــأتى الجـــواب لنـــا بـــأن نهـــاركم ... ليـــلٌ, وأن عـــشيركم كفـــار!

وإذا أبيـــتمْ فالجريمـــة أنَّكـــم ... للبلـــشفية بيننـــا أنـــصار

لـــو كنـــتُ مـــنهم لم أكـــافئْ غيرهـــم ... بـــالخير ممـــا عجلـــوا وأثارهـــا

يـــا أيُّهـــا المتحكمـــونَ وإننـــا ... ودماءَنـــا مثـــلَ البهـــيمِ جُبـــار[2]

قولـوا الـصحيحَ: سنستبيحُ جُلودَكم ... للـــسالِخينَ لأنَّكـــم أحـــرار!

******

إنـــي ـــ وللـــذُوَّاد عـــن أوطـــانهم ... وشـــعوبِها الإجـــلال والإكبـــار

لـــي في العـــراقِ مقالـــةٌ مـــأثورة ... وكأنهـــا مَثَـــلٌ بـــهِ ســـيّار

أبـــصرتُ شمطـــاءً تَتِيـــهُ وفوقَهـــا ... تـــشكو الـــضياعَ قِـــلادةٌ وسِـــوار

جـــسدٌ تعـــوَّضَ بـــالحُليِّ وجَرسِـــه ... إذ غـــاضَ منـــه شـــبابهُ الفـــوّار

---

(١) منيخة: مقيمة ثابتة. سفار: مصدر سافر أي مُسافرون عابرون.

(٢) جبار (بالضم) هدر.

فذكرتُ كيف يُشَدُّ من مُتغطرسٍ ... واهي الضميرِ ضميرهُ المُنهار

ورأيتُ في سُوقِ النخَّاسةِ تعتلي ... وجهَ الرقيقِ مَهانةٌ وصَغار

وبآسِنٍ من بؤسِهم مستنقَعٍ ... قد راحَ ينفخُ صدرَه سِمسار

فذكرتُ ما تلقى الشعوبُ ضعيفة ... عَزلاً تسوسُ أمورَها أغمار

وذكرتُ كيفَ المستظِلُّ بغيره ... يُوحي ويُوهِم أنَّه جبار

عبدَ الحميدِ وطهرُ نَفْسِكَ جنةٌ ... وجميلُ صنعكَ روضةٌ مِعطار

يا دارجاً في الخالدين ضميرهُ ... صلَّتْ عليكَ الرفقة الأبرار

obeikandl.com

تنويمة الجياع

نشرت في جريدة "الأوقات البغدادية"، العدد٢٨ في ٢٨ آذار ١٩٥١.

نـــامي جيـــاعَ الـــشَّعبِ نـــامي حرسَـــتْك آلِهـــةُ الطَّعـــامِ
نـــامي فـــإنْ لم تـــشبَعي مِـــن يَقْظَـــةٍ فمِـــنَ المنـــام
نـــامي علـــى زُبـــدِ الوعـــود يُـــدافُ في عَـــسلِ الكـــلام
نـــامي تَـــزُرْكِ عـــرائسُ الـــ ـــ أحـــلام في جُـــنحِ الظـــلام
تتنـــوَّري قُـــرْصَ الرغيـــ ـــ ـــف كـــدورةِ البـــدر التمـــام!
وَتَـــرَيْ زرائبَـــكِ الفِـــسا ـــ حَ مبلَّطـــاتٍ بالرُّخـــام

******

نـــامي تَـــصحِّي! نِعْـــمَ نـــو ـــ مُ المـــرءِ في الكُـــرَبِ الجـــسامِ
نـــامي علـــى حُمَـــةِ القنـــا نـــامي علـــى حـــدِّ الحُـــسام
نـــامي إلى يـــومِ النـــشو ـــ رِ ويـــومَ يُـــؤذَنُ بالقيـــام

نـــامي علـــى المـــستنقعا ـ تِ تَمُـــوجُ بـــاللُّججِ الطَّـــوامي

زخَّـــارةً بـــشذى الأقـــا ـ حِ يمـــدُّه نفـــحُ الخُـــزام

نـــامي علـــى نَغَـــمِ البعـــو ـ ض كأنـــه ســـجعُ الحمـــام

نـــامي علـــى هـــذي الطبيـــ ـ ـــعةِ لم تُحَـــلَّ بـــه "ميـــامي"

نـــامي فقـــد أضـــفى العَـــرا ـ اءُ" عليـــكِ أثـــوابَ الغـــرام

نـــامي علـــى حلُـــمِ الحـــوا ـ صـــد عاريـــاتٍ للحـــزام

متراقـــــصاتٍ والـــــسِّيا ـ طُ تَجِـــدُّ عَزْفـــاً بـــارتزام[1]

وتغـــــازلي والنَّاعمـــــا ـ تِ الزَّاحفـــاتِ مِـــن الهـــوام

نـــامي علـــى مهْـــدِ الأذى وتوسَّـــدي خـــدَّ الرَّغـــام[2]

واستفرشـــي صُـــمَّ الحـــصى وتَلَحَّفـــي ظُلَـــلَ الغَمـــام

نـــامي فقـــد أنهـــى "مُجيـــ ـ ـــعُ الـــشعبِ" أيَّـــام الـــصيام

---

(١) الارتزام: شدة الصوت, وقد تعني شدة الضرب.

(٢) الرغام: التراب.

obeikandi.com

نـــامي فقـــد غنَّـــى "إلـــ ـ ـــهُ الحـــربَ" ألحـــانَ الـــسلامِ!

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي الفجـــــرُ آذَنَ بانـــــصرامِ

والـــشمسُ لـــن تُؤذيـــك بعـــ ـ ـــدُ بمـــا تَـــوَهَّج مـــن ضِـــرام

والنـــورُ لـــن "يُعمـــي!" جُفـــو ـ نـــاً قـــد جُـــبِلنَ علـــى الظـــلام

نـــامي كعهـــدكِ بـــالكَرى وبلُطفـــهِ مـــن عهـــدِ "حـــام"

نـــامي.. غـــدٌ يـــسقيكِ مـــن عـــسلٍ وخمـــرٍ ألـــفَ جـــام

أجـــرَ الـــذليل، وبـــردَ أفئـــ ـ ـــدةٍ إلى العليـــا ظـــوامي

نـــامي وسِـــيري في منـــا ـ مِـــكِ مـــا اســـتطعتِ إلى الأمـــام

نـــامي علـــى تلـــكَ العِظـــا ـ تِ الغُـــرِّ مـــن ذاكَ الإمـــام

يُوصـــيكِ أنْ لا تطعمـــي مـــن مـــال ربِّـــكِ في حُطـــام

يُوصـــيكِ أنْ تَـــدعي المبـــاهجَ واللذائـــــذَ لِلّئـــــام

obeikandi.com

وتُعوضـــي عـــن كـــلِّ ذ ـ ـــلـــك بالـــسُجودِ وبالقيـــام

نـــامي علـــى الخُطَـــبِ الطِّـــوا ـ ـــلِ مِـــن الغطارفـــة العظـــام[1] ..!!

نـــامي يُـــساقَطْ رزقُـــكِ الموعـــودُ فوقَـــكِ بانتظـــام

نـــامي علـــى تلـــكَ المبـــا ـ ـــهـــجِ لم تَـــدَعْ سَـــهْماً لرامـــي

لم تُبـــقِ مـــن "نُقـــلٍ" يـــسرُّ ـ ـــك لم تَجئـــهُ... ومـــن إدام

بَنَـــتِ البُّيـــوتَ وفجَّـــرتْ جُـــردَ الـــصحارى والمـــوامي[2]

نـــامي تَطُـــفْ حُـــورُ الجنـــ ـ ـــانِ عليـــكِ منهـــا بالمُـــدام

نـــامي علـــى البَـــرصِ المبيَّـــ ـ ـــضِ مـــن ســـوادِك والجُـــذام

نـــامي فكـــفُّ اللهِ تغـــسـ ـ ـــل عنـــكِ أدرانَ الـــسقام

نـــامي فحِـــرزُ المـــؤمنينَ يـــذُب عنـــكِ علـــى الـــدوام

نـــامي فمـــا الـــدُّنيا ســـوى "جـــسرٍ" علـــى نكـــدٍ مُقـــام

******

(١) الغطارفة: جمع غطريف (بكسر الغين) وهو السيد الشريف. وجاءت هنا من باب السخرية.

(٢) الموامي: جمع موماة وهي القفر.

obeikandl.com

نـــــامي ولا تتجـــــادلي القـــولُ مـــا قالـــتْ "حَـــذام"

نـــامي علـــى المجـــدِ القديـــ ـــمِ وفـــوقَ كـــوم مـــن عظـــام

تِيهـــــي بأشـــــباهِ العِـــصا ـــ مـــيِّين! منـــكِ علـــى "عِـــصام"

الـــــرافعينَ الهـــــامَ مِـــــن جُثـــثٍ فرَشْـــتِ لهـــم وهـــام

والـــــواحمينَ ومِـــــن دمـــــا ـــ ئِـــكِ يرتـــوي شـــرَهُ الوِحـــام

نـــامي فنومُـــكِ خـــيرُ مـــا حَمـــلَ المـــؤرخُ مـــن وِســـام

******

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي بُرِّئْـــتِ مِـــن عيـــبٍ وذام

نـــامي فـــإنَّ الوحـــدةَ الـــ ـــعـــصماء تطلُـــبُ أنْ تنـــامي

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي النَـــومُ مـــن نِعَـــمِ الـــسلام

تتوحَّـــدُ الأحـــزابُ فيـــ ـــه ويُتَّقـــى خطـــرُ الـــصِدام!

تهـــدا الجمـــوعُ بـــه وتَـــسـ ـــتغني الـــصُّفوفُ عـــنِ انقـــسام

إنَّ الحماقـــــةَ أن تَـــــشُقّـ ـــي بـــالنُّهوضِ عـــصا الوئـــام

والطـــــيشُ أنْ لا تلجـــــأي مِـــن حاكميـــكِ إلى احتكـــام

الـــنفسُ كـــالفرسِ الجمـــو ـــ حِ وعقلُهـــا مثـــلُ اللجـــام

نـــامي فـــإنَّ صـــلاحَ أمـــ ـــــرٍ فاســـدٍ في أنْ تنـــامي

والعـــروةُ الـــوثقى! إذا اســـ ـــــتيقظتِ تُـــؤذِنُ بانفـــصام

نـــــامي وإلا فالـــــصفو ـــ فُ تـــؤول منـــكِ إلى انقـــسام

نـــــامي فنومُـــــكِ فتنـــــةٌ إيقاظُهـــا شـــرُّ الأثـــام

هـــل غـــيرُ أنْ تتيقّظـــي فتعـــاوِدي كـــرَّ الخِـــصام

******

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي لا تَقْطَعـــي رزقَ الأنـــام

لا تقطعـــــي رزقَ المُتـــــا ـــ جِـــر والمُهنـــدس والمحـــامي!

نـــامي تُريحـــي الحاكميـــ ـــــنَ مِـــن اشـــتباكٍ والتحـــام

نـــامي تُـــوَقَّ بـــكِ الـــصَّحا ـــ فـــةُ مـــن شـــكوكٍ واتهـــام

يَحْمَـــدْ لـــكِ القـــانونُ صُنْـــ ـــــعَ مُطـــاوِعٍ سَـــلِسِ الخُطـــام

obeikandl.com

خلِّـــي "الهُمـــامَ!" بفـــضلِ نـــو ـ مـــكِ يتَّقـــي شـــرَّ الهُمـــام

وتجـــــنَّبي الـــــشُبُهاتِ في وعـــيٍ سيوصَـــمُ بـــاجترام

******

نـــامي فجِلـــدُكِ لا يُطيـــ ـ ـــقُ إذا صـــحا وقـــعَ الـــسِّهامِ

نـــامي وخلّـــي الناهـــضي ـ ـــنَ لوحـــدِهم هـــدفَ الروامـــي

نـــامي وخلّـــي اللائميـــ ـ ـــنَ فمـــا يُـــضيركِ أنْ تُلامـــي!

نـــامي فجُـــدْرانُ الـــسُّجو ـ نِ تعِـــجُّ بـــالموتِ الـــزؤام

ولأنـــت أحـــوجُ بعـــدَ أتـــ ـ ـــعابِ الرُّضـــوخِ إلى جِمـــام

نـــامي يُـــرَحْ بمنامـــكِ "الزُّعمـــاءُ!" مـــن داءٍ عقـــام

نـــامي فحقّـــكِ لـــنْ يـــضي ـ ـــعَ ولـــستِ غُفْـــلاً! كالـــسَّوام

إن "الرُّعـــــاةَ!" الـــــساهر ـ يـــنَ ســـيمنعونك أن تُـــضامي

******

نـــامي علـــى جَـــوْرٍ كمـــا حُمِـــلَ الرضـــيعُ علـــى الفطـــام

وقَعـــي علـــى البلـــوى كمـــا وقـــع "الحـــسامُ!" علـــى الحـــسام

نـــامي علـــى جـــيشٍ مـــن الآ ـ ـــلامِ محتـــــــشدٍ لُهـــــــام[1]

أعطـــــي القيـــــادةَ للقـــــضا ـ ـــءِ وحكِّميـــــــهِ في الزِّمـــــــام

واستـــــــسلمي للحادثـــــــا ـ ـــتِ المُـــشفقاتِ علـــى النيـــام

إنَّ التـــيقظَ ـــ لـــو علمـــ ـ ـــتِ ـــ طليعـــةُ المـــوتِ الـــزُؤام

والـــــوعيُ ســـــيفٌ يُبتلـــــى يـــــومَ التقـــــارُعِ! بـــــانثلام[2]

******

نـــامي شَـــذاةَ الطُهـــرِ نـــامي يـــــا دُرَّةً بـــــينَ الرُّكـــــام[3]

يـــــا نبتـــــةَ البلـــــوى ويـــــا ورداً ترعـــــرعَ في اهتـــــضام

يـــــا حُـــــرَّةً لم تـــــدرِ مـــــا معنـــــى اضـــــطغانٍ وانتقـــــام!

يـــــا شُـــــعلةَ النُـــــورِ الـــــتي تُعـــشي العيـــونَ بـــلا اضـــطرام!

ســـــبحانَ ربِّـــــكِ صـــــورةً تزهـــــو علـــــى الـــــصُّورِ الوِســـــام

---

(١) اللهام: الجيش العظيم.

(٢) يبتلى: يصاب.

(٣) الشذاة: المسك.

obeikandi.com

إذْ تختفينَ بلا اهتمام ... أو تُسفرينَ بلا لثام

إذْ تحملينَ الشرَّ صا ـ ... برةً من الهُوجِ الطَّغام

بُوركتِ من "شَفعٍ" فإنْ ... نزلَ البلاءُ فمن "تُؤام"[1]

كم تصمُدينَ على العتا ـ ... ب وتسخرينَ من الملام!

سبحانَ ربِّكِ صورة ... هي والخطوبُ على انسجام

******

نامي جياعَ الشعبِ نامي ... النومُ أرعى للذِّمام

والنَّومُ أدعى للنزو ـ ... ل على السَّكينةِ والنظام

نامي فإنَّكِ في الشدا ـ ... ئدِ تخلُصينَ من الزّحام

نامي جياعَ الشعبِ لا ... تُعْنَيْ بسِقطٍ من كلامي

نامي فما كانَ القصيـ ... ـدُ سوى خُرَيْرٍ في نظام

نامي فقدْ حُبَّ العما ـ ... ءُ عنِ المساوئ والتعامي

---

(١) الشفع: الزوج، الاثنان. التؤام: جمع التوأم.

obeikandl.com

نـــامي فبـــئسَ مطـــامعُ الـــ ـ ـــواعينَ! مِـــن ســـيفٍ كَهـــام[1]

نـــامي: إليـــكِ تحـــيَّتي وعليـــكِ, نائمـــةً, ســـلامي

نـــامي جيـــاعَ الـــشعبِ نـــامي

حرَسَـــتْكِ آلهـــة الطَّعـــام

(١) الكهام: لا يقطع.

obeikandl.com

خلّفت غاشية الخنوع..

ألقيت في الحفل المهيب الذي أقيم في دمشق عام ١٩٥٦ احتفالاً بذكرى مصرع الشهيد عدنان المالكي. وكان الشاعر ممثلاً للعراق في هذا الحفل بدعوة تلقاها من الجيش السوري. وقد اضطر إلى الإقامة في سورية قرابة عام ونصف العام من جراء تنمر المسؤولين آنذاك وحنقهم بسبب هذه القصيدة. وكان طوال هذه المدة ضيفاً على الجيش السوري.

خلَّفــتُ غاشــية الخنــوع ورائــي ... وأتيــتُ أقــبسُ جمــرةَ الــشهداءِ

ودرجــتُ في دربٍ علــى عَنَــتِ الــسُّرى ... الــقٍ بنــور خطــاهمُ وضَّــاء

خلَّفتهــا وأتيــت يعتــصرُ الأســى ... قلــبي وينتــصبُ الكفــاحُ إزائــي

وحمِــدْتُ نفــساً حُــرَّةً لم تنــتقص ... شَــهْد الوفــاءِ بعلقــم الإغــراء

صبغانِ يأتلقــان مــا عــصفَ الــدُّجى ... بالنــاسِ لــونُ ســناً ولــونُ دمــاء

يلــدانِ فجــراً صــادقاً حلــوَ الَّــسنا ... خــضِلَ الظِــلال مــنعَّمَ الأفيــاء

مــن عهــد "قابيــل" وكــلُّ ضــحية ... رمــز اصــطراع الحــقِّ والأهــواء

ومــرارةُ الثكــل المقــدَّس إرثــة ... مــن "آدمٍ" جــاءت ومــن "حــوّاء

وفظاعــةُ التــاريخ بلــوى فكــرةٍ ... تَهــدي الــسبيلَ بفكــرة عميــاءِ

قـد قلـتُ للإلـفِ الخـدين يـدُلُّني ... أنَّـى تكـون معـالمُ الفيحـاء؟

قف بي على النَّسر الخضيب ولمَّ لي ... منـه نـسيلَ قـوادمٍ حمـراء[1]

وتخـطَّ بـي أرضـاً تعفَّـرّ فوقهـا ... ملـكُ الـسماءِ مـدوِّخُ الأجـواء

قـف بـي فلـستُ بمـأتمٍ لرثـاءِ ... أيُهـان عُـرْسُ رجولـةٍ ببكـاء

قـف بـي ألمَّ هنـا قـوافيَ جُمِّعـت ... للمجـدِ مـن ألـفٍ بـه أو يـاء

أنـا لا أرى العـصماءَ غـيرَ عقيـدةٍ ... منـسابةٍ في فكـرةٍ عـصماء

هـذا أنـا.. عَظْـمُ الـضحيَّةِ ريـشتي ... أبـداً ولفْـحُ دمائهـا أضـوائي

أسـتلهم الـنغَمَ الخفـيَّ يمـوجُ في ... جُـرح الـشهيد بثـورةٍ خرسـاء

وأُحِـسُّ أنَّ يـدَ الـشهيد تجرُّنـي ... لـتُلفَّني وضـميرَهُ بـرداء

هاتيـكَ أبيـاتي يـصوغ خيالَهـا ... دون "العناصـر" عنـصرُ الأرزاء

---

(١) النسيل: ما سقط من ريش الطائر.

obeikandl.com

وأُولاءِ أزهـــاري يُرعـــرِع نـــشأها ... نبـــعُ الأســـى وخميلـــةُ الـــضرّاء

كـــسبيكةِ الإبريـــزِ تعـــدل قـــوَّةُ ... الـــشهداء فيهـــا رقَّـــةَ البؤســـاء

قـــالوا قـــرابينٌ, فقلـــتُ أرادهـــا ... لـــلأرض مَـــن وصَّـــى بهـــا لـــسماء

عُـــنيَ الإلـــهُ بهـــا فـــصيَّرَ أمرَهـــا ... للنـــاسِ في أخـــذٍ لهـــم وعطـــاء

واختـــارَ للفـــدْيِ المفـــضَّلِ صـــفوةً ... مِـــن ناهـــضينَ بثقلـــه أكفـــاء

يهبـــونَ أرواحـــاً فتـــنهضُ أُمَّـــةٌ ... شمَّـــاء مُرســـاةٌ علـــى الأشـــلاء

وأثـــابهم عنهـــا الخلـــودَ فهـــا هـــمُ ... نُصُبٌ شخوصٌ في عيون الرائي[1]

******

عـــدنانُ إنَّ دمـــاً وهبـــتَ رســـالةٌ ... أنـــا مـــن صـــميمِ دعاتهـــا الأمَنـــاء

آمنـــتُ بـــالحُمر النـــوافح في الثَّـــرى ... يبـــساً, أريـــجَ الواحـــة الخـــضراء[2]

المهـــدياتِ العُمْـــيِ أيَّـــةَ رؤيـــة ... والمـــسمعاتِ الـــصمِّ أيَّ دعـــاء

والمنـــزِلات علـــى المَـــدى سُـــورَ الهـــدى ... ورســـالةَ الآبـــاءِ للأبنـــاء

---

(١) النصب (بضمتين) جمع نصاب كالأنصاب وهي التماثيل.

(٢) يريد بـ "الحمر": الدماء.

والجاعلاتِ "الجيلَ" جسر رديفه ... وبنيهِ للآتينَ رمزَ فداء

آمنتُ لا وحي العقيدةِ وحدَها ... لكنْ بما أسلفتُ من خُلَصائي

آمنتُ إيمانَ الحجيج بقصدهِ ... فهناك لي جَدَثٌ على البطحاء[1]

آمنتُ إيمانَ النهار بشمسه ... فلقد غُمرتُ بنورها الوضاء

آمنتُ إيمانَ الدماءِ بنفسها ... فأنا الصبيغُ بها صباحَ مساء

عدنانُ لو أفضى إليك ندائي ... ولو استمعتَ للهفتي ودعائي

ولو انعطفتَ إلى أحبَّتكَ الألى ... يتصيَّدونَ رؤى القريب النائي

أُطريكَ لو أنجاكَ مُطرٍ من أذى ... ولو استردَّكَ سالماً إطرائي

عدنانُ يا لُطفاً تفجَّرَ عن دمٍ ... يا جدولاً ينسابُ في صحراء

يا ضِحكةَ الفجر النديِّ تهشمت ... بنعيبِ فُوهةِ بومةٍ نكراء[2]

---

(١) إشارة إلى قبر أخيه الشهيد "جعفر الجواهري" في النجف.

(٢) يريد بنعيب فوهة البومة النكراء, أزير الرصاص الذي انطلق من مسدسالجاني.

obeikandi.com

قـــالوا أتعرفـــه؟ فقلـــتُ وكنهَـــهُ عرفـــانَ نـــور الـــشمس بـــاللألاء

ولَـــــرُبَّ أرواحٍ تُـــــذيعُ صـــــفاتِها حتـــى وإنْ عَريـــتْ عـــن الأسمـــاء

يـــا أيُّهـــا البطـــلُ الموحِّـــدُ أُمَّـــةً بدمائـــه, قُدِّسْـــتَ مـــن بنـــاء

أســـلفتَ للأجيـــال خـــيرَ عَطـــاءٍ ولقيـــتَ مـــن عُقبـــاكَ خـــيرَ جـــزاء

وأقمـــتَ مـــن ذكـــراكَ مزحـــفَ فيلـــقٍ في كـــلِّ معركـــةٍ وخفـــقَ لـــواء

اليـــومَ تحـــصدُ أُمَّـــةٌ حُلـــوَ الجنـــى ممَّـــا زرعـــتَ بهـــا مـــن الخلفـــاء

الحارســـينَ الـــشعبَ مـــن أعدائـــه والـــشعبُ يحرسُـــهم مـــن الأعـــداء

والـــشاربينَ بمثـــلِ مـــا يـــسقونه بالحُـــبِّ صُـــنْعَ النُخْبَـــةِ النُـــدَماء

عـــدنانُ لا ثـــأرٌ فأنـــت مـــبرّأ مـــن ضِـــغنةٍ, عَـــفٌّ عـــن الجبنـــاء

كَفَـــتِ الجريمـــةُ خزيـــةً ونكايـــةً لمعـــذَّبينَ بجـــرمهم تُعـــساء

عـدنانُ مـا جـدوى قصاصك مـن يَـدٍ ألـــوى بهـــا مـــستعمرٌ جـــذّاء[1]

عـــدنانُ ثـــأركَ أنْ تُطـــوّح أمـــةٌ بركـــائزِ المـــوحينَ للعمـــلاء

******

(١) جذاء: مقطوعة.

obeikandl.com

عـدنانُ أنطِقْـني فقـد خَنَـقَ الـشَّجا ... بفمـــي البليـــغِ مقالـــةَ البلغـــاء

حاســـبتُ نفـــسي والأنـــاة تردُّهـــا ... في معـــرِضِ التـــصريح للإيمـــاء

بِـيني لُعنـتِ فلـستُ منـكِ وقـد مـشى ... فيكِ الخمولُ ولستِ مـن خُلَطائي

مـــاذا يَميـــزكِ والـــسكوت قـــسيمة ... عـــن خـــانعٍ مُهـــادن ومرائـــي

أبأضـــعفِ الإيمـــان يخـــدع نفـــسَهُ ... مَـن سـنَّ حُـبَّ المـوت للـضعفاء؟

أيـــزُمُّ مـــن شـــفةٍ علـــى عـــذباتها ... نـــضحتْ أمـــاني عـــزَّةٍ وإبـــاء؟

خلـي النِّقـاطَ على الحـروف وأوغلـي ... في الجهر ما وسعتْ حروفُ هجاء

مـــا أنـــتِ إذ لا تـــصدَعينَ فواحـــشاً ... إلا كراضـــيةٍ عـــن الفحـــشاء

******

أضـــحيَّةَ الحلـــفِ الهجـــين بـــشارة ... لـــكَ في تكـشّفِ سـوءةِ الهُجَنـاء[1]

أسطورة "الأحلاف" سوف يمُجُّها التا ـــ ... ريـــخُ مثـــلَ خرافـــة "الحلفـــاء"

سَـــرعان مـــا تنهـــدّ بعـــد أوارةٍ ... تعشي العيون كفحمة الطَّرْفاء

---

(١) المقصود هنا هو "حلف بغداد" الذي كان الشهيد في جملة الأحرار الشجعان الذين يناصبونه وعاقديه العداء.

obeikandl.com

قـــالوا تعاقـــدنا فقلـــتُ هنئـــتمُ بقِـرانِ فَـرطِ خنـاً بفـرطِ غبـاء

وا هُـــزأة الأحـــلاف بـــين مـــسخِّرٍ ومـــــسخَّرين, وســـيِّدٍ وإمـــاء

يـا مـن رأى "حلفـاً" عجيبـاً أمـرهُ بـين الثَّـرى وكواكـب الجـوزاء

وتعلَّقـــت هُـــزْءاً علـــى أضـــوائه بنيـــوبِ ذؤبـــانٍ أكـــارعُ شـــاء

******

هاتيـــكَ أنعـــم حلفـــةٍ وإخـــاء إعـــصار طـــاعونٍ وريـــح وبـــاء

وعـصارةٌ للـرجس تنـسِفُ مـا ابتنـى الأجـدادُ مـن أكرومـةٍ وحيـاء

وجيـــوشُ بغـــيٍ تـــستعينُ بمثلـــها مـــن خـــائني وطـــنٍ ومـــن دخـــلاء

نـسجوا نـسيجَ العنكبـوتِ وهـا هـمُ منـــه بليلـــةِ حاطـــبٍ عـــشواء

واهـي الخيـوط يـشِفُّ عمَّـا تحتـه فكـــأنهم منـــه بغـــيرِ غطـــاء

واعتـاصَ رتـقُ فتوقـه حتـى مـشى ســأمُ الكـلال علـى يـدِ الرَّفّـاء

******

دَّوى علـــى المـــستعمرينَ صـــواعقاً وعـــيُ الـــشعوب ويقظـــةُ الـــدَّهماء

وتكـــشَّفوا عُريـــاً علـــى أضـــوائها مثـــلَ اللـــصوص بليلـــةٍ قمـــراء

وتقيَّحـــت مـــن زِمنـــةٍ فتعفَّنـــت بـــصديدهنّ ضـــمائرُ الأجـــراء

فهـــمُ كفـــاجرةٍ تغطّـــي جهـــدَها صـــدقَ الفجـــور بكـــاذبِ الخُـــيَلاء

وهـــمُ كخرقـــاء تُـــنَفِّش عِهنهـــا صـــيفاً وتَـــنقض غزلهـــا بـــشتاء[1]

وهـــم يزمُّـــون الحقائـــبَ خـــشية مـــن فجـــأةِ الأقـــدارِ كـــالنزلاء

ســـتُغِذُّ في غـــدٍ القريـــب كتائـــبٌ لحتـــوفِ معتـــصمينَ كالزّبـــاء

ســـتدوسُ أقـــدامُ الـــشعوب كخرقـــةٍ مهـــروءةٍ مـــن كـــانَ ســـوطَ بـــلاء

ســـيرَوْن كيـــف تجيـــدُ في إبانهـــا صـــنعَ المعـــاجز جمـــرةُ البغـــضاء

سَـــيرى عَتـــادُ الأجـــنبيّ بعينـــه مرمـــى عقيـــدةِ أُمَّـــةٍ عـــزلاء

ســـتعود تُـــصهَر طلقـــةً وقذيفـــة ترمـــي الطغـــاةَ سلاســـلُ الـــسجناء

******

(١) العهن: الصوف.

obeikandi.com

عَـوَّذتُ "جِلَّـقَ" بالـضحايا جمَّـةً ... مـن كيـدِ همَّـازٍ بهـا مـشّاء

مـن سـائرينَ القَهقَـرَى لم يعرفـوا ... بـين الجهـاتِ الـستّ غـيرَ وراء

عوَّذتُهـا بـأغرَّ أبلـجَ مُـصْلَت ... كالـسَّيف "شـكري" كاشـفِ

بالحامـل الأعبـاءِ يـشمخُ فوقهـا ... أمـلُ العُروبـةِ أثقـلُ الأعبـاء

بمـسعِّر الجمـراتِ يحـدو أُمَّـةً ... لم تخـلُ في الأزمـات مـن حـدّاء

عوَّذتُهـا بـشبيبةٍ رأد الـضحى ... مـن بعـضها ولطافـةُ الأنـداء

عَّوذتُهـا بالمـالكيِّ ورهطـه ... مـن صـفوةِ العُقَـداءِ والزُّعمـاء

مِـن نـاذرين نفوسَـهم لم يعرفـوا ... فـيهنَّ غـيرَ فريـضةٍ وأداء

بُـشراةِ مـوتٍ يزحفـون إلى الـوغى ... زحـفَ الحبيـبِ لموعـدٍ ولقـاء

وبراقـدٍ في "ميـسلونَ" وطيفـه ... متنقـلٌ ينهـى عـن الإغفـاء[1]

يـا شـامُ يـا لمـحَ الكواكـب في دجـى ... يـا موكـبَ الأعـراس في صـحراء

---

(١) يريد بالراقد في "ميسلون" الشهيد البطل القائد السوري "يوسف العظمة" الذي استشهد على أبواب دمشق وهو يصد الجيوش الفرنسية المحتلة الزاحفة إليها.

obeikandl.com

يـا موئـل الـذكرى يغطّـي أرضَـها ... وسماءهـا حـشدٌ مـن الأصـداء

يـا أُمَّ "أقيـالٍ" ومـدرجَ أُمَّـةٍ ... وعـرينَ أشـبال وكهـفَ رجـاء[1]

يـا أختَ "غـسَّانٍ" ينـادمُ رهطَـه ... يومـاً بجلَّـقَ ـ سـيّدُ الـشعراء[2]

يـا بنـتَ "مـروانٍ" يركـز رايـةً ... حمـراء فـوقَ رمالـك الـسمراء

يـا ملعـبَ البـيض الغرائـر يمَّحـي ... يـومُ الغـرام بـه بيـوم لقـاء

أبـداً يـضوع بـه لفتيـانِ الحمـى ... غَـزَلٌ يذوبُ على لظى الهيجاء[3]

جَـلَّ العُـلا أبُنيـتِ مـن أشـلاءٍ ... أرُفعـتِ فـوقَ جماجمٍ ودمـاء؟

لله أنـتِ أكـلُّ يومـكِ حاشـد ... برجولـة ومـروءة وفَتـاء؟

في أيِّ جـو عـابسٍ لم تُـسفري ... ريّـا الجنـانِ نديَّـةَ الأضـواء؟

وبـأيِّ سُـوحِ مكـارمٍ لم يرتفـع ... عَلَـمٌ عليـكِ مثلـثُ الأجـزاء؟

---

(١) الأقيال: جمع قيل ويريد السادة.

(٢) المراد بـ "سيد الشعراء": حسان بن ثابت.

(٣) يضوع: ينتشر.

obeikandl.com

اليـــوم عيـــد الـــواهبين, وفي غـــدٍ عيـد الفتـوح, وأمـس عيـد جـلاء

قُـــدُماً دِمـــشقُ لـــسُنَّةٌ عُوِّدتهـــا في الحمـدِ مـن عَـودٍ علـى إبـداء

أفْزَعْتِ مـن محـل الخطـوب سياسـةً بنَّـــاءةً ونُتِجـــتِ مـــن عـــشراء

سَـلِمَتْ يـداكِ فقـد قـسوت عليهمـا في عـصر رأسِ الحيـة الرقطـاء

لم يبـقَ منهـا غـير سـؤر حُـشاشةٍ يُلـوى بهـا ذنـبٌ وغـير ذمـاء

أنهـي فـديتُكِ أمرَهـا وتخلَّـصي منهـا ومـن قِـشَرٍ لهـا ملـساء

وتحـضَّني جـيلاً أسـلتِ لرعيـه خـيرَ الـصدور وأكـرم الأثـداء

رُدّي الأمانـةَ يستـسرُّ بنورهـا "عـدنانُ" وهـو بلُجَّـةِ الظلمـاء

أنفاسُـكِ الرَّوحـاء هُـنَّ بقيَّـة للمجـدِ مـن أنفاسـكِ الـصُعَداء

يـا كوكـبَ الـشهداء شـكوى مُـرَّةً لك ترتمي من كوكب الشعراء

قـسماً بقـبرك وهـي حِلفـةُ صـادقٍ أجلـى بيانـاً مـن أجـلِّ ثنـاء

مـا ضـيعةُ الـشهداء في أسـر الـرَّدى كمتاهـةِ الـشهداء في الأحيـاء

في كـــلِّ يـــومٍ ميتـــةٌ ملحـــودةٌ بالـــصَّبر آونـــةً وبالإغـــضاء

وبكـــلِّ زاويـــةٍ ضـــميرٌ يلتـــوي لَـــيَّ الطعـــين بحربـــةٍ عقفـــاء

أبـــداً تنـــزُّ دمـــاً جـــراحُ كرامـــةٍ هانـتْ هـوان الجُـرح في عجمـاء[1]

حَـسْبُ الكـريم مـن الأذى إحجامـه حتـى عـن الـشكوى مـن الإيـذاء

وكَفَـــى الـــشجاعَ رويـــةً وعزيمـــةً ذلاَّ تمنّـــي عيـــشة الجبنـــاء

وسُـقيتَ مـن وعـي الـبلاد وعزِّهـا مـا يـصطفيكَ بروضـةٍ غنـاء

---

(١) العجماء: البهيمة.

obeikandl.com

دمشق يا جبهة المجد

شَـــمَمتُ تُربـــكِ لا زُلفـــى, ولا ملقـــا
وســـرتُ قـــصدُكِ لا خِبـــاً, ولا مَـــذِقا

ومـــا وجـــدتُ إلى لقيـــاك مُنعَطفـــاً
إلاّ إليـــــكِ, ولا أَلفيـــــتُ مُفترقـــــا

كنـــتِ الطريـــقَ إلى هـــاوٍ تُنازعُـــه
نَفـــسٌ تَـــسُدُّ عليـــه دونهـــا الطرُّقـــا

وكـــان قلـــبي إلى رؤيـــاكِ باصـــرتي
حتـــى اتهمـــتُ عليـــكِ العـــينَ والحـــدقا

شَـــممتُ تُربـــكِ أســـتاف الـــصبا مرحـــاً
والـــشملَ مُؤتلفـــاً, والعقـــدَ مُؤتلقـــا

وســـرتُ قـــصدكِ لا كالمـــشتهي بَلَـــداً
لكـــنْ كمَـــن يتـــشهَّى وجـــه مـــن عَـــشِقا

obeikandl.com

قــالوا "دمــشقُ" و"بغــدادٌ" فقلــتُ هُمــا

فجــرٌ علــى الغــدِ مــن أمــسيهما انبثقــا

مــا تعجبــون؟ أَمِــن مَهــدينِ قــد جُمعــا

أَم تـــوأمينِ علـــى عهـــديهما اتَّفقـــا

أَم صـــامدينِ يَربَّـــان المـــصيرَ معـــاً

حبـــاً ويقتـــسمان الأمـــنَ والفرقـــا

يُهدهـــدان لـــساناً واحـــداً ودمـــاً

صُـــنواً, ومعتقـــداً حُـــراً, ومُنطلقـــا

أَقـــستُ بالأمَّـــةِ استوصَـــى بهـــا قـــدرٌ

خـــيراً, ولاءَم منهـــا الخَلـــقَ والخُلُقـــا

مَـنْ قـالَ أنْ لـيسَ مِـن معنـىً للفظتهـا

بـــلا دمـــشقَ وبغـــدادٍ فقـــد صَـــدَقا

فـــلا رعـــى اللهُ يَومـــاً دسَّ بينهمـــا

وقيعـــةً, ورعـــى يومَيهمـــا ووقـــى

******

يــا جُلَّــق الــشامِ والأعــوامُ تجمَــعُ لــي

ســبعاً وســبعينَ مــا التامــا ولا افترقــا

مــا كــان لــي منهمــا يومــان عــشتُهما

إلاّ وبالــسؤرِ مــن كأســيهما شــرقا

يعــاودانِ نَفــاراً كُلَّمــا اصــطبحا

وينــسيان هــوىً كانــا قــد اغتبقــا

ورحــتُ أطفــو علــى موجيهمــا قلقــاً

أكــاد أحــسدُ مــرءاً فيهمــا غرقــا

يــا للــشبابِ يغــارُ الحلــم مــن شــرةٍ

بــه, وتحــسدُ فيــه الحِنكــةُ الترقــا

وللبــساطة مــا أغلــى كنائِزهــا

"قــارون" يــرخص فيهــا التــبر والورِقــا

تلــمُّ كأســي ومــن أهــوى, وخــاطرتي

ومــا تجــيشُ وبيــت الــشعر والورقــا

أيــامَ نعكــفُ بالحــسنى علــى سَــمَر

تــساقطُ اللعَــو فيــه كيفَمــا اتفقــا

إذْ مــسكة الربــوات الخُــضر تُوســعُنا

بمــا تفتَّــقَ مــن أنــسامها عَبَقــا

إذْ تُــسقط "الهامــةُ" الإصــباحَ يُرقِــصُنا

و"قاســيون" علينــا ينــشرُ الــشَّفقا

نرعــى الأصــيلَ لــداجي الليــلِ يُــسلمُنا

ومــن كــوىً خفــراتٍ نرقــبُ الغَــسقا

ومــن كــوى خفــراتٍ نــستجدُّ رُؤىً

نــشوانَةً عــن رُؤىً مملولَــةٍ نــسقا

آهٍ علــى الحلــوِ في مــرٍّ نغــصُّ بــه

تقطَّــرا عَــسلاً في الــسُّمِّ واصــطفقا

******

obeikandl.com

يـــا "جُلَّـــق الـــشام" إنـــا خلقـــةٌ عجـــبٌ

لم يـــدرِ مـــا ســـرها إلاَّ الـــذي خلقـــا

إنـــا لنخنـــقُ في الأضـــلاعِ غربتنـــا

وإن تنـــزتْ علـــى أحـــداقنا حُرَقـــا

معـــذَّبونَ وجنَّـــاتُ النَّعـــيمِ بنـــا

وعَاطِـــشون ونَمـــري الجَونـــةِ الغَـــدقا

وزاحفـــونَ بأجـــسامٍ نوابـــضُها

تـــستامُ ذروةَ "عِلـــيَّينَ" مُرتَفَقَـــا

نُغْـــني الحيـــاةَ ونَـــستَغْني كـــأنَّ لنـــا

رأدَ الـــضُّحى غَلـــةً والـــصُّبحَ والفَلَقـــا

يـا "جُلَّـقَ الـشام" كـمْ مـن مَطمـحٍ خَلـسٍ

للمـــرءِ في غفلـــةٍ مِـــنْ دَهـــرِهِ سُـــرِقا

وآخـــر سُـــلَّ مِـــن أَنيـــابِ مُفتَـــرِسٍ

وآخـــرٍ تحـــت أَقْـــدامٍ لـــهُ سُـــحِقا

دامٍ صـــراعُ أخـــي شـــجوٍ ومـــا خَلَقـــا

مِـــن الهُمـــومِ تُعَنِّيـــه, ومـــا اختلقـــا

يـــسعى إلى مطمـــحٍ حانـــت ولادَتُـــه

في حـــين يحمـــلُ شـــلواً مطمحـــا شُـــنِقا

حـــرَّانَ حـــيران أقـــوى في مُـــصامدةٍ

علـــى الـــسكوت, وخـــيرٌ منـــه إن نطقـــا

كـــذاك كـــلُّ الـــذين اســـتُودِعُوا مُـــثُلاً

كـــذاك كـــلُّ الـــذين اســـتُرهِنوا غَلَقـــا

كـــذاكَ كـــان ومـــا ينفـــكُّ ذو كلـــفٍ

بمـــن تُعبّـــدَ في الـــدنيا أو انعتقـــا

"دمـــشقُ" عِـــشْتُكِ ريعانـــاً, وخافقـــةً

ولمـــةً, والعيـــونَ الـــسودَ, والأرقـــا

وهـــا أنـــا, ويـــدي جِلـــدٌ, وســـالفيّ

ثلـــجٌ ووجهـــي عظـــمٌ كـــادَ أو عُرقـــا

وأنــتِ لم تبرحــي في الــنفس عالقــة

دمــي ولحمــي والأنفــاسَ والرمقــا

تمــوجين ظــلال الــذكرياتِ هــوىً

وتُــسعدين الأســى والهــم والقلقــا

فخــراً دمــشق تقاسمنــا مراهقــةً

واليــوم نقتــسم الآلام والرهقــا

"دمشقُ" صبراً على البلوى فكم صُهِرَتْ

ســبائكُ الــذَّهبِ الغــالي فمــا احترَقــا

علــى المــدى والعُــرُوقُ الطُّهــرُ يَرفــدُها

نَــسْغُ الحيــاةِ بــديلاً عــن دمٍ هُرقــا

وعنــد أَعــوادكِ الخــضراءِ بهجتُهــا

كالــسنديانة مهمــا اسَّــاقطَتْ ورقــا

******

و"غــابُ خفَّــانَ" زّنَّــارَ بــه "أَسَــدٌ"

غــضبانَ يــدفعُ عــن أَشــبالهِ حَنِقَــا

obeikandl.com

يــا "حــافظَ" العهــدِ, يــا طــلاّعَ أَلويــةٍ

تناهَبــــت حلبـــات العـــزِّ مُـــسْتَبَقا

يــا رابــطَ الجــأش, يــا ثَبْتــاً بمُــستَعِرٍ

تآخيـــا في شَـــبوبٍ منـــه, والتـــصقا

تزلزلَـــتْ تحتـــه أَرضٌ فَمـــا صُـــعِقا

وازَّخرفــت حولــه دنيــا فمــا انزلقــا

أَلْقـــى بزُقُّومهـــا المـــوبي لمُـــرتَخصٍ

وعـــافَ للمُتهـــاوي ورْدَهـــا الطَّرَقـــا

يــا حاضــنَ الفكــر خلاَّقــاً كــأنَّ بــه

مــن نــسجِ زَهــر الرُّبــى مَوشــيّةً أنقــا

لــك القــوافي ومَــا وَشَّــتْ مطارفُهــا

تُهـدى, ومـا اسـتنَّ مُهـديها, ومـا اعتلقـا

مــن "العــراق" مــن الأرضِ الــتي ائتلقــت

و"الــشام" ألفــاً فمــا مــلاَّ ولا افترقــا

يـا "جبهـة المجـد" ألقـت كربـة ظلـلا

مـــن الـــشحوب عليهـــا زدنهـــا ألقـــا

مَـــرَّتْ يَـــدٌ بَـــرَّةٌ فـــوقَ العُـــرُوق بهـــا

تُمـيطُ عنهـا الأسـى, والجَهـدَ, والعرقـا

كمثـل أرضـك تمتـدُّ الـسماء بهـا

مهمومـةً ترقـبُ الفجـرَ الـذي انطلقـا

أســيانةً كــم تلَقَّــتْ بــين أَذرُعِهــا

نجمـاً هـوى إثـر نجـمٍ صـاعدٍ خفقـا

مَـــصارِعٌ تـــستقي الفـــادين تُربتُهـــا

في كـل شـبرٍ مـشى "فـادٍ بهـا وسـقى

يـــا بنـــتَ أُمِّ البلايـــا عانَقَـــت نَـــسَباً

أغلـــى وأَكـــرمَ في الأنـــسابِ مُعتنَقـــا

راحَـــتْ تمـــزِّق كـــل الهـــازئين بهـــا

وحولـــك اسّـــاقطت مهـــزوزةً مزقـــا

كنـتِ الكفـوءَ لهـا إذ كنـتِ مُعترَكـاً

لـــسُوحِها, فِرَقـــاً جَـــرَّارةً فِرَقـــا

"تيمـور" خـف و"هولاكـو" وقـد سـحقا

كـلَّ الـدنى وعلـى أَسـوارِكِ انـسحَقا

مـا كنـتِ أعتـى, ولا أَقـوى سـوى دُفـعٍ

مـن الرُّجُـولاتِ, كانـت عنـدها لعقـا

هُنـــا جـــوارك ذو زمزامَـــةٍ لَجِـــبٍ

أمـسِ استـشاط فـصبَّتْ نـارُهُ صَـعقا

علـى اليهـودِ, وعـادَ اليـومَ مِـن خَـوَرٍ

يمـــدُّ طوعـــاً إلى جَـــزَّارِهِ العُنُقَـــا

حـــبُّ الحيـــاةِ تَغَـــشَّاهُ فكـــان لـــهُ

صـداقُها الـذلَّ, والإسـفافَ, والخرَقـا

تخـالف الحكـمُ فـرداً لا ضـميرَ لـه

إذا اســـتدار, ولا نـــاهٍ إذا مرقـــا

ومُجمعـــين تواصـــوا بيـــنهم شـــرَعا

علـــى الحفـــاظِ, وســـاروا أمـــرهم طبقـــا

******

"دمشقُ" كم في حنايا الصدر من غصصٍ

لـــو لم نـــدفها بمُـــرِّ الـــصَبرِ لاختنقـــا

صُـــبَّت "ثلاثـــونَ" لم تـــدرِ الـــصباح بهـــا

ســـودُ الليـــالي, ولم تكـــشَفْ بهـــا أُفقـــا

هُنَّـــا عليهـــا فـــشدَّتنا بسلـــسلةٍ

مـــن الكـــوارث لم تـــستكمل الحلقـــا

جاعـــت لقحـــطِ "مُفـــاداةٍ" بهـــا وعَـــدَتْ

واســـتنجدت صـــاعَها, والمئـــزرَ الحلَقـــا

ونحـــنُ نُطعمُهـــا حلـــوَ البيـــانِ رؤىً

والفخـــرَ مُتَّـــشحاً, والوعـــدَ مُرتزَقـــا

شمَمْـــتُ تُرْبَـــكِ لا زُلفـــى, ولا مَلَقـــا

وسِـــرْتُ قـــصدَكِ لا خِبـــاً ولا مـــذِقا

obeikandl.com

عريانــة....

نظمت في عام ١٩٣٢

أنـــتِ تـــدرين أنـــني ذو لُبانَـــهْ ... ألهـــوى يـــستثير فيَّ المَجانَـــهْ

وقـــوايَّ مثـــل حُـــسنك لمـــا ... لَتَعَـــرَيْنَ حـــرَةٌ عُريانـــه

وإذا الحـــبُّ ثـــارَ فـــلا تَمْـــ ـــنَعُ أيُّ احتـــشامة ثَورانـــه

فلمـــاذا تُحـــاولين بـــأنْ أعـــ ـــلنَ مـــا يُنكِـــرُ الـــورى إعلانـــه

ولمـــاذا تُهـــيجِين مـــن الـــشا ـــعِـــر أغفـــى إحـــساسُهُ، بركانـــه

لا تقـــولي تجهُـــمٌ وانقبـــاضٌ ... بغَـــضا منـــه وَجهَـــه ولـــسانه

فهمـــا ثـــورةٌ علـــى الـــدهر منّـــي ... كجَـــواد لا يرتـــضي مَيدانـــه

أنـــا في مجلـــسٍ يـــضمُكِ نـــشوا ـــنُ ســـروراً كـــأنني في حانـــه

لـــو تُحـــسِينَ مـــا أُحـــسُ إذا رجَّـــ ـــفْتِ في الرقص بطنَك الخمصانة

رجلــةً لا تمــسُ مــا بــين رفْغَيــ ـــ ـكِ وتُبقي الصدرَ الجميلَ مكانه

والــذراعينِ كــلٌ ريانــةٍ فعــ ـــ ـــماءَ تُلْقــي في فَعمــةٍ رَيانــه

والثُــدَيينِ كــلٌ رُمانــة فــر ـــ عــاءَ تَهــزا بأُختهــا الرُمانــه

عاريــاً ظهــرُك الرشــيقُ تُحــبُ الــ ـــ ـــعينُ منــه اتــساقَهُ واتزانــه

مــا بــه مــن نحافــةٍ يُستَــشفُ الــ ـــ ـعظمُ منهــا ولا بــه مــن سَمانه

خُــصَ بــالمحض مــن بُلهينــةِ العَيــ ـــ ـشِ وأُعطي من الصبا عنفوانه[1]

وتــراه يجــيء بــين ظُهــور الــ ـــ ـــخُرَّدِ الغيــدِ ســابقاً أقرانــه

إذ تمــــيلين يَمنــــة ويَــــساراً مثلَمــا لاعبــت صــبَاً خيزُرانــه

عنــدما تبــسِمين فينــا فتفتــ ـــ ـرّ الشفاهُ اللطافُ عن أُقحُوانه

إذ يحــار الــراؤون في حُسنك الفتَّــ ـــ ـــانِ بــل في ثيابــك الفتَانــه

رُبَّ جــسمٍ تُطــري الملاحــةَ فيــه ثــمَ تعــدوه مُطريــاً فــستانه

مــا بــه مــن نقيــصةٍ وكــأن الــ ـــ ـثوب أضــحى مُتمِمــاً نُقــصانه

إنَّ كفَــاً قاســت عليــك لباســاً مثــل هــذا مهَــارةٌ شــيطانه

---

(١) البلهنية: الرخاء وسعة العيش.

عَرَفتْ كيف تَبرُزين إلى الجمـ ـ ـهور فيه لتخلِبي أذهانه

ضيَقت مُلتقى نهودِك والكشْ ـ ـحَين منه وشمّرت أردانه

وأشارت إلى اللعوبَيْن بالألـ ـ ـباب منا بوردةٍ مُزدانه

ليت شعري ما السرُّ في أن بدت للـ ـ ـعَين جَهراً أعضاؤكِ الحُسانه

واختفى عضْوُك الذي مازَه اللّـ ـ ـهُ على كل ما لديك وزانه

الذي نال حُظوةً حُرِمالإنْـ ـ ـسانُ منها وخُصَت الإنسانه

وتمنى على الطبيعة شكلاً هو من خير ما يكونُ فكانه

وَمَحَلاً خِصباً فحلَ بوادٍ أنبتَ اللهُ حولَهُ ريحانه

لم يُرد من بَراه مُتعةَ نَفسٍ أن يُغطى ولم يُردْ كِتمانه

ككتابٍ كشفت عن صفحَتيْهِ ثم غطَيت عَنوةً عُنوانه

أو غَديرِ جمِ المساربِ عذبٍ حَرَموه وحلَلَّوا شُطآنه

هيكلٌ من هياكلِ اللهِ سُدَّ البابُ منه وكفَنوا صُلبانه

obeikandl.com

المقصورة

بـــرغم الإبـــاء ورغـــم العُلـــى ... ورغـــم أنـــوف كِـــرام المـــلا

ورغـــم القلـــوبِ الـــتي تـــستفيـ ... ـض عَطفاً تحوطُـكَ حَوْط الحمى

وإذ أنـــت ترعـــاكَ عـــينُ الزمـــانِ ... ويَهفُـــو لجَرْسِـــكَ سمـــعُ الـــدُنى[1]

وتلتـــفُ حولَـــكَ شـــتَى النُّفـــوسِ ... تَجـــيشُ بـــشتَّى ضـــروب الأســـى

وتُعـــرِبُ عنهـــا بمـــا لا تُـــبين ... كأنـــك مـــن كـــل نفـــسٍ حـــشا

فأنـــتَ مـــع الـــصبحِ شَـــدْوُ الرعـــاةِ ... وحلـــمُ العـــذارى إذا الليـــلُ جـــا

وأنـــت إذا الخطـــبُ ألقـــى الجِـــرانَ ... وحـــــطَّ بكلكلـــــهِ فـــــارتمى[2]

أَلَحْـــتَ بـــشِعرك للبائـــسين، ... بـــداجي الخُطـــوبِ، بَريـــقَ المُنـــى

بـ "علقمـةَ الفحـلِ" أزجـي اليمين ... أنـــي أَلّـــذُّ بمُـــرِّ الجنـــى[3]

وبـــ "المتنبـــيءِ" أنَّ الـــبَلاءَ، ... إذا جـــدَّ، يَعلـــم "أنّـــي الفتـــى"[4]

---

(١) الجرس: الصوت الخفيف، والنغم.

(٢) جران البعير: رقبته. وكلكله: صدره. وألقى جرانه وحط كلكله: برك وأناخ.

(٣) علقمة الفحل والشنفرى: شاعران جاهليان عرف عنهما قشوبة العيش وصلابة العود.

(٤) إشارة إلى بيت المتنبي في مقصورته:

لـــتعلم مـــصرَ ومـــن بـــالعراق ... ومـــن بالعواصـــم أنـــي الفتـــى

obeikandl.com

ألا مـــن كـــريمِ يَـــسُرُّ الكـــرامَ ... بحيفـــةِ جلْـــفٍ زَنـــيمِ عَتـــا[1]

فيـــا طالمـــا كـــانَ جـــدُّ البَغـــيِّ ... يُخفِّـــفُ مـــن فحـــشِ أهـــل البِغـــا

ويـــا طالمـــا ثُـــنيَ الـــسادِرونَ ... بمـــا اقتيـــدَ مـــن ســـادرٍ مـــا ارعـــوى[2]

علـــى أنـــه مـــن شِـــفاءِ الـــصُدو ... ـــرِ لـــو أنَّ حُـــراً كريمـــاً شـــفى

تأصـــلَ هـــذي العـــروقَ الخِبـــاثَ ... فقـــد ســـاقَ بالجـــذْمِ منهـــا الثـــرى[3]

أنبيـــك عـــن أطيـــب الأخبـــثينِ ... فقُـــلْ أنـــتَ بالأخبـــثِ المُـــزدرى

رفـــاقٌ مـــن الـــريحِ منفوخـــةٌ ... وإن ثَقَّـــلَ الزهـــوُ منهـــا الخطـــى[4]

وأشـــباحُ نـــاسٍ، وإنْ أُوْهمـــوا ... بـــأنّهمُ: "قـــادةٌ" في الـــورى

ألمْ تـــرَ أنـــيَ حـــربُ الطغـــا ... ـــةِ ســـلمٌ لكـــلِ ضـــغيفِ الـــدَما[5]

وأنـــي تركـــتُ دهـــيَ الـــسِبالِ، ... كـــثيرَ الـــصيال، شـــديدَ القـــوى[6]

مـــن الخـــوفِ كـــالعَيْرِ قبـــلَ الكـــوا ... ـــءِ يَحبـــقُ ممـــا اصـــطلى واكتـــوى[7]

---

(١) الجلف: الرجل الحقير الجافي الطبع. الزنيم: الملحق بالقوم وليس منهم.

(٢) السادر: اللاهي العابث، الذي يعيش بلا هدف.

(٣) جذم الشجرة: جذرها.

(٤) زقاق: جمع زق وهو الجراب.

(٥) الذما: بقية الروح.

(٦) السبال: اللحى، والواحدة سبلة.

(٧) العير: الحمار. الكواء: اسم من كوى يكوي كالشواء من شوى يشوي. يحبق: يضرط.

بمـــاذا يخـــوِفني الأرْذلُـــونَ ... ومـــمَ تخـــافُ صِـــلالُ الفـــلا؟

أيُـسْلبُ عنهـا نعـيمُ الهجـيرِ، ... ونفـــحُ الرمـــالِ، وبـــذْخُ العـــرا؟

بلـى ـ إنَّ عنـديَ خـوفَ الـشُجاعِ ... وطـيشَ الحلـيمِ، ومـوتَ الـرَّدى

إذا شـئتُ أنـضجتُ نَـضجَ الـشِواء ... جلـــوداً تعـــصَتْ فمـــا تُـــشتوى

وأبقيـتُ مـن ميـسمي في الجبـا ـــ ... ـــهِ وشْـماً كوَشْـمِ بنـاتِ الهـوى[1]

فـــوارقُ لا يَمَحـــي عـــارهُنَّ ... ولا يلْتبـسْنَ بوصـفٍ "سـوى"ـــ

بحيـثُ يُقـالُ إذا مـا مـشى الـصَّ ـــ ... ـــليُ بهـــا: إن وغـــداً بـــدا[2]

وحيـــثُ يُعيَّـــرُ أبنـــاؤه ... بـــأن لهُـــمْ والـــداً مثـــلَ ذا

أقـــولُ لنفـــسي ـــ إذا ضـــمها ... وأترابهـــا محفِـــلٌ يُزدهـــى:

تـسامَيْ فإنـكِ خـيرُ النفـوسِ ... إذا قـيسَ كـل علـى مـا انطـوى

وأحـسنُ مـا فيـكِ أن "الـضمير" ... يَـصيحُ مـن القلـبِ إنـي هُنـا

تـسامَيْ فـإن جناحيـكِ لا ... يَقَـــرَانِ إلا علـــى مُرتقـــى

كـذلك كـل ذواتِ الطِمـا ـــ ... ـــحِ والهـم، مخلوقـةٌ للـذُرى

شـهِدتُ بأنـكِ مـذخورةٌ ... لأبعـدَ مـا في المـدى مـن مـدى

وأنّـكِ سـوفَ تـدوي العـصورُ ... بمـا تتركـينَ بهـا مـن صـدى

---

(١) الميسم: اسم آلة يوسم بها.

(٢) الصلي: المرسوم بالميسم.

بآيـــةِ أنَّ يـــدَ المُغريـــاتِ تَهابـــكِ إلاَّ كَلمـــسِ النـــدى

وأنّـــك إنْ يَلتمـــعْ مطمـــعٌ يُخـافُ علـى الـروحِ منـه العمـى

يمـــوتُ "النبـــوغُ" بأحـــضانه ويُنعـــى بـــه "الأمـــل" المرتجـــى

وتمـشي الجمـوعُ علـى ضـوئهِ لتبكـــي علـــى عبقـــري قـــضى

وكـــادتْ تلُفَّـــكِ في طيهـــا حَواشـيه... رَدتـكِ كـف القـضا[1]

لـشرِ النهايـاتِ هـذا "المطـافُ" وكُـــل مَطـــافٍ إلى مُنتهـــى

متـــى ترعَـــوي أمـــةٌ بـــالعراقِ تُـــساقُ إلى حتفهـــا بالعـــصا

تُـذرَى علـى الـضيْمِ ذَرْوَ الهـشيمِ ويَعرقُهـــا الـــذُل عـــرْقَ اللِحـــا[2]

وتنـــزو بهـــا شـــهوةُ المـــشتهينَ كمـــا دُحرِجـــت كُـــرةٌ تُرتمـــى

يُجِـــدُّ بَغـــيضٌ بهـــا عهـــدهُ إذا قيـــلَ عهـــدٌ بَغـــيضٍ مـــضى

وتـــسمَنُ منهـــا عِجـــافٌ مَـــشَتْ إلى الأجـــنبيِ تَجُـــرُّ الخُـــصى

تراودُهـــا عزَّهـــا كـــالقُرومِ هَجـــانٌ عليهـــا غريـــبُ نَـــزا[3]

عجبـــتُ وقـــد أســـلمتْ نفـــسَها لعَـــركِ الخُطـــوبِ وعَـــصْرِ الـــشِقا

وقَـــرَّ علـــى الـــذل خيـــشومُها كما خطمَ الصعب جَذبُ البُرى[4]

---

(١) ردك: جواب شرط (إن) في قوله وأنك إن يلتمع مطمع.

(٢) عرق العظم: أزال ما عليه منت لحم. واللحاء: قشر جذع الشجرة.

(٣) القروم: السادة: واحدها قرم. الهجان: جمع هجين وهو الذي ولد من أبوين مختلفين في الجنس.

(٤) قر على الذل: خضع للذّل. والخيشوم: أعلى الأنف. البري: جمع برة، وهي الخزامة وحلقة تجعل في أنف البعير الصعب القياد لينقاد. وخطم: ههنا بمعنى أذل وأخضع.

وأغْفَتْ فلم أَدْرِ حَيرةٍ بها: كيف إيقاظُها أو متى؟

ولم أدرِ من طيبِ إغفائها على الذُل، أيَّ خيال تَرى

أهِمَّاً تغشاهُ بعْدَ العنا كرىً، أمْ صبيّاً بريئاً غفا؟[1]

متى تستفيقُ وفحمُ الدُجى عليها مشتْ فيه نارُ الضحى؟

وأصنامِ بَغْيٍ يصُبونها ويَدْعُونها مَثلاً يُقتدى

يُثيرونَ من حولها ضَجةً بها عن مَخازيهمُ يُلتهى

كما حَجَبَتْ بالغُبارِ العيون خِفافٌ مُهرّأةٌ تُحتذى[2]

فهذا سيَمضي، وهذا مضَى وهذا سيأتي، وهذا أتى!!

وهذا "زعيمٌ"، لأن "السفيـ ـرَ" يرنو إليهِ بعينِ الرضا

وفي ذاكَ عن سُخطِ أهل البلادِ على حُكمهِ أو رضاهم غِنى

وهذا بعِمتهِ، ساحرٌ، من "الجنِ" يَرفعُها للعلى

تَطُق المسابحُ من حولها لتُعلنَ أن ملاكاً أتى

تجيءُ المطامعُ منقادةً إليه إذا شاءَ أو لم يَشا

وليتك تحسِبُ أزياءَهم فتجمعَ منها زهورَ الربى

فتلك اللفائفُ كالأُقحوانِ بها العلمُ ينفحُ طيبَ الشذا!

---

(١) الهم: الشيخ الكبير.

(٢) خفاف: جمع خف. ومهرأ: ممزقة بالية.

وتلـــكَ الـــشراشفُ كالياسميـــ ـــنِ تـــاهَ "العِقـــالُ" بهـــا وازدهـــى!

تَـــدلَتْ عناقيـــدُ مثـــلُ الكـــرومِ على كتفـيّ "يـابس" كالـصُوى[1]

يَـــوَدُّ مـــن "التيـــهِ"! لـــو أنـــه يَـــشُدُّ بهـــا "جَرَســـاً"! إنْ مـــشى

لـــــيعلمَ ســـــامعُهُ أنـــــه "ينـــوبُ"! عـــن البلـــدِ المُبتلـــى

إذا رفَـــعَ اليـــدَ للحـــاكمينَ بَـــدَتْ "نَعَـــمٌ" وَهْـــيَ في زيِ "لا"!

وبينهمـــا محـــدَثٌ ناشـــئٌ إذا خـــطَ تَعرفـــه أو حَكـــى

تعـــوِّذه أمـــه إنْ مـــشى إلى "البرلمـــان" بـــأُمِ القُـــرى[2]

ومُستـــسلمين يَـــرونَ الكفـــا ـــ حَ قَـــوراء مـــدحورةً تُمتطـــى[3]

فتُغـــرزُ في رَخـــوةٍ سَـــمحةٍ وتنفِـــر عـــن ذي مِـــسَن قَـــسا

يَـــرَوْنَ الـــسياسةَ أنْ لا يَمـــسَّ هـــذا، وأن يُتقـــى شـــر ذا

وهـــذا وذا في صـــميمِ الـــبلا ـــ دِ سُـــلِ، وفي العـــينِ مِنهـــا قـــذى

مـــساكينُ يقتحمـــونَ الكفـــاحَ وقـــد شـــرعتْ بابُـــه مـــن كُـــوى[4]

---

(١) الصوى: العلامات التي توضع في الطريق لتدل السائرين. ويريد بالعناقد ما تدلى من خيوط "العقال"!.

(٢) أم القرى: مكة.

(٣) قوراء: مستديرة.

(٤) الكوى: جمع كوة وهي النافذة الصغيرة.

ومنـــتحلينَ سمـــاتِ الأديـــبِ يظنُونهـــا جُببـــاً تُرتـــدى

كمـا جاوبـتْ "بُومـةٌ"! بُومـةً تَقـارَضُ مـا بينهـا بالثَنـا

ويرعَـــونَ في هـــذَرِ يـــابسٍ مـن القـولِ، رعـيَ الجمـال الكـلا[1]

يُـــرَوْنَ "وُرَيقـــاتهم" بُلغـــةً مـــن العـــيشِ لا غايـــةً تُبتغـــى

فَهُـمْ والـضميرُ الـذي يـصنعونَ لمـــنْ يعتلـــي، صـــهوةٌ تعتلـــى

ولاهِـينَ عـن جَـدِهم بـالفراغِ زوايـــا المقـــاهي لهـــم مُنتـــدى

وعـارٍ تحلَّـى بثـوب الأديـب ومـمـــا يُزكـــي أديبـــاً خَـــلا

ومـن تبعـات النفـوسِ الكبـار بـسِن اليَـراع الـرخيص احتمـى

ووغـــدٍ تخـــيرَ أمثالَـــه فوغـــداً أهـــرَ، ووغـــداً شـــلا[2]

يقولـونَ إنَّ يـداً في الغُيـوبِ تـديرُ علـى الأرضِ حُكـم الـسَما

ولمـا يَـزلْ مثـلٌ سـائرٌ علـى النـاسِ يَجـري: بأيـدي سـبا

وتحريـقُ "لـوطٍ" بـذنبٍ أتـى وأخـذُ "ثمـودٍ" بـسقبٍ رغـا[3]

فمـا بـالُ كـفِّ القـضا لا تـدور علـى بلـدٍ ظـلَّ حتـى اختـزى؟!

وأضـحى "ثمـودٌ" و"لـوطٌ" بـه ومَـن لهمـا مـن بالـشرورِ انتمـى

---

(١) الكلأ: الحشيش.

(٢) أهر الكلب وشلاه: أغراه على التحرش والاعتداء.

(٣) السقب: ولد الناقة. والرغاء: صوت البعير.

obeikandi.com

ومـــن عـــاثَ في أُمـــمِ المـــشرقَينِ وجـــارَ علـــى أهلـــها واحتمـــى

حَيـــيّنَ بـــينَ ولاة الأُمـــو ـــ ـرِ في بلـــدٍ ضـــاعَ فيـــه الحيـــا

يُـــسائلُ بعـــض بـــه بَعـــضهم أنحـــنُ أُخـــذنا وهـــذا نجـــا؟!

أُخِـــذتُ لأنـــي ربـــتُ الطريـــقَ "شـــذاً" إلى غايـــةٍ تُبتغـــى

وأنـــتَ أُخـــذت علـــى ناقـــةٍ بفَلْـــسينِ أمثالُهـــا تُـــشترى

وجَـــدنا هُنـــا كـــلَّ ذي عَـــورةٍ علـــى كـــل ذي حُرمـــةٍ قـــد سـطا

وكـــلَّ كـــريمِ الثَنـــا أصـــيدٍ تقلـــصَ في كِنَـــةٍ وانـــزوى[1]

هناك وجَدنا الرجالَ هُنا "الرجا ـــ ـل" لاهـــينَ، في وَضَـــحٍ مـــن سَـــنا!!

علـــى حـــينَ تختـــصُّ نِـــسوانهم "نـــساءٌ"، ومنتـــصِفٌ مـــن جـــزى!!

وجَدنا الـزعيمَ ـ كما يَنْعَتونَ ـ علـــى قـــدميْ غاصـــبيهِ ارتمـــى

بَـــنيَّ إذا الـــدهرُ ألقـــى القنـــاعَ وصـــرَح مـــن حَـــسوهِ مـــا ارتغـــى

ودالـــتْ لهـــمْ دولـــةٌ كـــالتي لـــدى النـــاس في وجههـــا والقفـــا

فـــلا تبخلـــوا أنْ تـــزوروا أبـــاً جريرتُـــــــه أنَّ ذُلاً أبـــــــى

ولا تبخلـــوا أنْ تَمُـــدوا يـــداً لتحـــضِنَ منـــه خيـــالاً سَـــرى

وطيفـــاً أتـــاكمْ يُهنِـــيكمُ بـــأنْ قـــد وُقيـــتمْ زمانـــاً مـــضى

---

(١) الأصيد: السيد الكريم.

obeikandl.com

وشــرٌّ "الــسهامِ" رُواءُ النعــيم وشــر "النــضال" بريــق الغِنــى[1]

ســلامٌ علــى هــضباتِ العــراق وشــطيهِ والجُــرفِ والمُنحنــى

على النَخْلِ ذي السَعَفاتِ الطوالِ علــى ســيدِ الــشجرِ المُقتنــى

علــى الرطــبِ الغَــضِ إذ يُجتلــى كَوَشْــيِ العــروسِ وإذ يُجتنــى

بإيــــسارهِ يــــومَ أعذاقُــــه تــرفٌ، وبالعــسرِ عنــدَ القنــى[2]

وبالــسَعفِ والكَــرب المُــستجـ ـــدِّ ثوبــاً "تهــرّا" وثوبــاً نــضا

ودجلــــة إذْ فــــارَ آذِيُهــــا كمــا حُــمَّ ذُو حَــرَدٍ فــاغتلى[3]

ودجلــةَ تمــشي علــى هَونهــا وتمــشي رُخــاءً عليهــا الــصَبا

ودجلــة زهــوِ الــصَبايا المــلاحِ تُخَــوَّضُ منهــا بمــاء صــرَى[4]

تُريــكَ العراقــيَّ في الحالتيـ ـــنِ يُــسرفُ في شُــحهِ والنَــدى!

ســلامٌ علــى قمــرِ فوقهــا عليهــا هَفــا وإليهــا رَنــا

تَدغــدِغُ أضــواؤُهُ صَــدْرها وتَمــسحُ طياتِهــا والثِنــى[5]

---

(١) إذا أُحيط الإنسان بالنعيم أو لوحوا له بالغنى ولم يكن صلباً في النضال تخاذل وفتر، فالنعيم والغنى شر السهام وشر النصال.

(٢) أي سلام عله في حالة إيساره بإغداقه الرأفة وفي حالة إعساره إذ قنواته متعثكلة يابسة.

(٣) آذى البحر أو النهر: ماؤه الكثير "المواضع العميقة". ذو حرد: صاحب ثأر، يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضبا؟.

(٤) ماء صرى: وشل بقية ماء.

(٥) الثنى: بالكسر جمع ثنية وهي الطية.

obeikandi.com

كـــأنَّ يـــداً طـــرَزَتْ فوقهـــا ... مـــن الحُـــسنِ مَوشـــيةً تُجتلـــى

رواءُ الـــنميرِ لهـــا لُحمـــة ... وذَوبُ الـــشعاعِ عليهـــا سَـــدى

ونجـــمٌ تَغـــورَ مـــن حبهـــا ... ونجـــمٌ عليهـــا ادَنـــى فـــادَّلى

على الجسرِ ما انفك من جانبيه ... يُتـــيحُ الهَـــوى مـــن عيـــونِ المهـــا[1]

فيـــا ليـــتَهن الـــذي يعتـــدى ... ويـــا ليتـــكَ الرجـــلُ المُعتـــدى

ويـــا ليـــتَ بلـــواكَ قُـــبَّ الـــصدورِ ... ولعـــسُ الـــشفاهِ، وبـــيضُ الطُلـــى

ســـلامٌ علـــى جـــاعلاتِ النَقيـــقِ، ... علـــى الـــشَاطئينِ، بريـــدَ الهـــوى

لُعـــنتنَّ مـــن صِـــبيةٍ لا تـــشيخُ ... ومـــن شِـــيخةٍ دَهرَهـــا تُـــصطبى

ســـجا الليـــلُ إلا حمامـــاً أجـــدَّ ... هـــديلاً وترجيـــعَ كلـــبٍ عَـــوى[2]

وجُندُبـــةً طارحَـــتْ جُنـــدُباً ... وبُومـــاً زقـــا وســـحيلاً ثغـــا[3]

وديكـــاً يـــؤذِنُ في جَمعهـــم ... بـــأن قـــد مـــضى الليـــلُ إلا إنـــى[4]

ســـلامٌ علـــى عـــاطراتِ الحقـــول ... تنـــاثرُ مـــن حـــولهن القُـــرى

---

(١) يشير بهذا البيت إلى بيت علي بن الجهم:

عيـــون المهـــا بـــين الرصـــافة والجـــسر ... جلـــبن الهـــوى مـــن حيـــث أدري ولا أدري

(٢) قب الصدور: مرتفعات الصدور، والواحدة قباء، وأقب للمذكر، لعس الشفاه: حمرة الشفاه المائلة إلى السمرة والطلى: الرقاب، والواحدة طلية.

(٣) الجندب: الصرصر. وسحيل: الثعلب.

(٤) إنى: بقية قليلة.

obeikandl.com

ويالَلَطافةِ هذي الدُنى ... يُتمِمها لُطفُ تلكَ القُصى

وحبلِ ضياء تدلى به ... على أُفقِ أفقٌ والتقى

سلامٌ على بلدٍ صنّته ... وإياىَ من جفوةٍ أو قِلى[1]

كلانا يكابدُ مُرَّ الفراقِ ... على كبدَينا، ولَذْعَ النوى

وكل يُغِذُ إلى طِيةٍ ... لنا عند غايتها مُلتقى[2]

غداً إذ يطنُّ فضاءُ العراقِ ... طنينَ الثرى من هزيزٍ خَلا[3]

وإذ يستقلُّ بضبعي فتىً ... يَرى الغُنمَ في العيشِ كسبَ الثنا[4]

ويقدرُ إن ضم منه اليدي ... ـنِ أيَّ ثمين نفيسِ حَوى[5]

غداً إذ فريقٌ يحوزُ الثنا ... يعَضُّ فريقٌ بصمِ الصفا

١٩٤٧

---

(١) القلى: الكره والبغض.

(٢) أغذ السير: أسرع إلى طية: إلى نية يقصد إليها.

(٣) يطن: يصفر أي يخلو.

(٤) الضبع: العضد، ويستقل بضبعي أي يتعلق بها.

(٥) يقدّر الشيء: يعرف قدره وفي القرآن: (وما قدروا الله حق قدره)

obeikandl.com

obeikandl.com

آمنت بالحسين

- ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في كربلاء يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧، لذكرى استشهاد الحسين.
- نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد ٢٢٩ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧.
- كتب خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيسي إلى الرواق الحسيني.

فِـــداءٌ لمثـــواكَ مـــن مَـــضْجعِ ... تَنَـــــــوَرَ بـــــــالأبلج الأروَعِ[1]

بـــأعبقَ مـــن نَفحـــاتِ الجنـــا ... ـــ ن رَوحـــاً، ومـــن مـــسكها أضـــوع[2]

ورَعيـــاً ليومـــكَ يـــومِ "الطُفـــوف" ... وسَـــقياً لأرضـــكَ مـــن مَـــصرع[3]

وحُزنـــاً عليـــك بحـــبْس النُفـــوس ... علـــى نهجـــك الـــنير المهْيَـــع[4]

وصـــوتاً لمجـــدك مـــن أنْ يُـــذال ... بمـــا أنـــتَ تأبـــاهُ مـــن مبـــدَع[5]

---

(١) الأبلج: الوضاء الوجه. والأروع: المعجب بشجاعته أو حسنه.

(٢) الروح هنا نسيم الريح. و"ضاع" من ضاع المسك يضوع إذا عبقت رائحته.

(٣) الطفوف: هي الأراضي المشرفة من جوانب الشاطئ، وهي تطلق بصورة خاصة على ما أشرف من أراضي "الغاضرية" ـ وهي مدينة كربلاء الآن ـ على نهر الفرات وفيها كان مصرع الحسين الشهيد وآله وأبنائه.

(٤) المهيع: البين الواضح.

(٥) يذال: يهان. المبدع بفتح الدال من "البدعة".

openkandil.com

فيـــا أيُّهـــا الـــوِتْرُ في الخالدِيـــ ـــ ـــنَ فـــذاً، إلى الآنَ لم يُـــشْفع

ويـــا عِظـــةَ الطـــامحينَ العِظـــامِ للاهـــينَ عـــن غـــدهمْ قُنَّـــع

تعاليـــتَ مـــن مُفْـــزع للحُتـــوف وبُـــوركَ قـــبرُك مـــن مَفـــزَع

تلـــوذُ الـــدهورُ فمـــنْ سُـــجَّدٍ علـــى جانبيـــه ومـــنْ رُكَّـــع

شَـــممتُ ثـــراكَ فهـــب النـــسيمُ نـــسيمُ الكرامـــةِ مـــن بَلقـــع

وعفّـــرتُ خـــدي بحيـــثُ اســـترا ـــ حَ خـــدٌّ تفـــرّى ولمْ يَـــضرع

وحيـــثُ ســـنابكُ خيـــل الطُّغـــا ـــ ةِ جالـــتْ عليـــهِ ولم يَخـــشع

وخلـــتُ وقـــد طـــارت الـــذكريات بروحـــــي إلى عـــــالم أرفـــــع

وطفـــتُ بقـــبركَ طـــوفَ الخيـــال بـــــصومعةِ الملـــــهمِ المبـــــدع

كـــأنَّ يـــداً مـــن وراء الـــضر ـــ ـــيحِ حمـــراء مبتـــورة الأصـــبع

تمـــــدُّ إلى عـــــالم بـــــالخنو ـــ ـــعِ والـــــضيمِ ذي شـــــرَقِ مُـــــترع

تخـــــبّطَّ في غابـــــةٍ أطبقـــــتْ علـــــى مـــــذئبٍ منـــــه أوْ مُـــــسْبع

وتـــدفعُ هـــذي النفـــوس الـــصغا ـــ ـــر خوفـــــاً إلى حـــــرمٍ أمنـــــع

تعاليـــتَ مـــن صـــاعقٍ يلتظـــي فـــــإنْ تَـــــدجُ داجيـــــةٌ يَلمـــــع

تـــأرُمُ حقـــداً علـــى الـــصاعقاتِ لم تُـــنْء ضَـــيراً ولـــن تَنْفـــع[1]

ولم تبـــذُرِ الحـــبَّ إثـــرَ الهـــشيم وقـــــد حرَقتـــــهُ ولم تَـــــزرع

تعاليـــتَ مـــن "فلـــك" قُطْـــرهُ يـــدورُ علـــى المحـــورِ الأوســـع

فيـــا بـــنَ "البتـــول" وحـــسْبي بهـــا ضـــماناً علـــى كـــل مـــا أدعـــي

ويـــا بـــنَ الـــتي لم تَـــضعْ مِثلُهـــا كمِثلـــكَ حَمـــلاً ولم تُرْضـــع

ويـــا بـــنَ الـــبطينِ بـــلا بطنـــةٍ ويـــا بـــن الفتـــى الحاســـر الأنـــزع[2]

ويـــا غُـــصنَ "هاشـــمَ" لم ينفَـــتح بـــــأزهرَ منـــــك ولم يُفْـــــرِعِ[3]

ويـــا واصـــلاً مـــن نـــشيدِ "الخُلـــود" ختـــــامَ القـــــصيدة بـــــالمطلع

تمثَّلـــتُ "يومـــكَ" في خـــاطري وردَّدت "صـــــوتَك" في مَـــــسمعي

ومَحَّـــصتُ أمـــركَ لم "أرتهـــبْ" بنقـــــلِ "الـــــرواةِ" ولم أُخـــــدع

وقلـــــتُ: لعـــــل دويَ الـــــسنين بأصـــــداء حادِثِـــــكَ المُفجـــــع

ومـــا رتـــلَ المُخلـــصونَ الـــدعا ـــ ةُ مـــن "مُرســـلينَ" ومـــن "سُـــجع"

أريـــــد "الحقيقـــــةَ" في ذاتهـــــا بغـــــيرِ الطبيعـــــةِ لم تُطبـــــع

---

(١) التأرم: حك الأسنان بعضها للعض من الغيظ، أي أنك تتحرق إذ ترى الصاعقات لا تدفع ضراً ولا تجلي نفعاً.

(٢) البطنة: النهم. الأنزع: من انحسر الشعر على جانبي جبهته. وكان يقال للإمام علي "الأنزع البطين".

(٣) لم تنون "هاشم" للضرورة فجرّت بالفتحة.

obeikandl.com

وجـــــدتُكَ في صُـــــورةٍ لم أرَعْ ... بـــــــأعظم منهـــــــا ولا أرْوَع

ومـــــاذا! أأرْوعُ مـــــنْ أن يكـــــو ... ـــ نَ لحمُـــكَ وَقْفـــاً علـــى المِبـــضع

وخـــيرَ بـــني "الأمِّ" مـــن هاشـــم ... وخـــيرَ بـــني "الأب" مـــن تُبَـــع

وخـــيرَ الـــصحاب بخـــيرِ الـــصدو ... ـــ رِ، كـــــانوا وِقـــــاءكَ، والأذْرع

وآمنـــتُ إيمـــان مـــن لا يَـــرى ... سِوى (العقل) في الشك من مَرْجع

بـــأن (الإبـــاء)، ووحـــي الـــسماء، ... وفـــيضَ النبـــوة، مـــن مَنْبـــع

تجمَـــع في (جـــوهر) خـــالصِ ... تَنـــزَّهَ عـــن (عـــرضِ) المَطْمـــع

obeikandl.com

يا دجلة الخير

- براغ عام ١٩٦٢م

حَيَيتُ سفحَكِ عن بُعدٍ فحييني ... يا دجلةَ الخيرِ، يا أُم البساتين

حييتُ سفحك ظمآناً ألوذُ به ... لوذَ الحمائمِ بين الماء والطين

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أفارقهُ ... على الكراهةِ بين الحين والحين

إني وردتُ عُيونَ الماء صافية ... نَبْعاً فنبعاً فما كانت لتَرْويني

وأنتَ يا قارباً تَلْوي الرياحُ به ... لَيَّ النسائم أطرافَ الأفانين

وددتُ ذاك الشراعَ الرخص لو كفني ... يُحالُ منه غَداةَ البَين يَطويني

يا دجلةَ الخيرِ: قد هانت مطامحُنا ... حتى لأدنى طماحٍ غيرُ مضمون

أتَضمنين مَقيلاً لي سواسيةً ... بين الحشائشِ أو بينَ الرياحين؟

خِلْواً من الهمِ ألاّ همَّ خافقةً ... بينَ الجوانحِ أعنيها وتَعنيني

تَهُزني فأُجاريها فتدفعُني ... كالريح تُعجل في دفع الطواحين

يا دجلةَ الخير: يا أطيافَ ساحرةٍ ... يا خمرَ خابيةٍ في ظل عُرْجون

يا سكتةَ الموتِ، يا إعصارَ زوبعةٍ ... يا خنجرَ الغدرِ، يا أغصانَ زيتون

يا أُم بغدادَ، من ظَرفٍ، ومن غَنَج ... مشى التبغدُد حتى في الدهاقين

يـا أُم تلـك الـتي مـن "ألـفِ ليلتهـا" ... لـــلآن يعبـــق عطـــرٌ في الـــتلاحين

يـا مُـستَجمَّ "النواسـيِّ" الـذي لبـستْ ... بـــه الحـــضارةُ ثوبـــاً وشـــيَ "هـــارون"

الغاســـلِ الهـــمَّ في ثغـــرٍ، وفي حَبَـــبٍ ... والمُلـــبسِ العقـــلَ أزيـــاء المجـــانين

والـــساحبِ يأبـــاه الـــزِقُ ويُكرِهـــهُ ... والمُنْفِـــقِ اليـــومَ يُغـــدى بـــالثلاثين

والـــراهِنِ الـــسابريَ الخـــزَفي في قـــدح ... والملـــهِمِ الفـــن مـــن لهـــوٍ أفـــانين

والمُسمعِ الـدهر، والـدنيا، وسـاكنها ... قـــرْعَ النـــواقيسِ في عيـــدِ الـــشعانين

يـا دجلـةَ الخير: مـا يُغليـكِ مـن حَنَـقٍ ... يُغلـي فـؤادي: ومـا يُشجيكِ يشجيني

مـــا إن تـــزالُ ســـياطُ البغـــي ناقعـــة ... في مائِـكِ الطهْـرِ بـين الحـين والحـين

يـا دجلـةَ الخير: أدري بالـذي طفحـت ... بـــه مجاريـــك مـــن فـــوق إلى دون

أدري علـــى أي قيثـــارٍ قـــد انفجـــرت ... أنغامـــكِ الـــسمر عـــن أنـــات محـــزون

أدري بأنـكِ مـن ألـفٍ مـضتْ هَـدراً ... لـلآن تَهْـزينَ مـن حكـم الـسلاطين

يـا دجلـةَ الخـير: والـدنيا مُفارقـةٌ ... وأيُّ شـــر بخـــيرٍ غـــيرُ مقـــرون

وأي خـــيرٍ بـــلا شـــر يُلقحـــه ... طهـرُ الملائـك مـن رجـس الـشياطين

يا دجلة الخير: كم من كنزٍ موهبةٍ ... لـديك في "القُمقُـم" المسحورِ مخـزون

لعـلَ تلـك العفاريـتَ الـتي احتُجـزتْ ... مُحمَّـلاتٌ علـى أكتـاف "دُلفـين"

لعـل يومـاً عـصوفاً جارفـاً عَرِمـاً ... آتٍ فترضـيك عقبـاه وترضـيني

يـا دجلـةَ الخـير: مـن كـل الألى ... بلـوايَ لم ألـفِ حتـى مـن يواسـيني

يـا دجلـة الخـيرِ: خلـي المـوجَ مُرتفعـاً ... طيفـاً يمـر وإن بعـضَ الأحـاديين

وحمليـه بحيـثُ الـثلجُ يغمرنـي ... دفء "الكـوانين" أو عطـر "التـشارين"

واهـاً لنفسي من جميع النقيض بها ... نقيـضَه جمْـعَ تحريـكٍ وتـسكين

جنبـاً إلى جنـب آلامٍ أقطِّفهـا ... قطْفَ الجياع جَنى اللذاتِ يزهوني

وأركـبُ الهـوْلَ في ريعـان مأمنـةٍ ... حـب الحيـاة بحـب المـوتِ يُغـريني

غُـولاً تـسنَمتُ لم أسـأل أكارعـه ... إلى الهوى، أمْ على الواحات ترميني

ومـا البُطـولاتُ إعجـازٌ وإنْ قنِعـت ... نفـسُ الجبـانِ عـن العليـاء بـالهون

وإنمـا هـي صـفوٌ مـن مُمارسـةٍ ... للطارئـاتِ، وإمعـانٍ، وتمـرين

لا يُولـدُ المـرء لا هِـراً ولا سـبعاً ... لكـن عـصارة تجريـبٍ وتلقـين

يـا دجلـةَ الخـير: شـكوى أمرُهـا ... إن الـذي جئـت أشـكو منـه يـشكوني

مـاذا صـنعتُ بنفـسي قـد أحقْـتُ بهـا ... مـا لم يُحقْـهُ بـ "روما" عسفُ "نيرون"

ألزمتهـا الجـدَ حيـثُ النـاسُ هازلـة ... والهـزل في موقـفٍ بالجـد مقـرون

يا دجلةَ الخير: هل في الشك منجلياً ... حقيقـةٌ دون تلمـيح وتخمـين؟

أم خولطـت فيـه أوهـامٌ وأخيلـةٌ ... كمـا تخالطـت الألـوانُ في الجـون

أقـول: ليـت كفافـاً والكفـافُ بـه ... رُحـبُ الحيـاة، وأقـواتُ المـساجين

أقــولهُنَّ وعنــدي علــم ذي ثقــةٍ ... أنْ لــيس يُؤخــذَ علــمٌ بالأظــانين

وإنمــا هــي نفــسٌ هــمُّ صــاحبها ... أن لا تــصدق مــدحوض الــبراهين

لم يوهــب الفكــرُ قانونــاً يُحــصِنه ... مــن الظنــونِ، ومــن سُــخف القــوانين

يــا نــازحَ الــدارِ نــاغِ العــودَ ثانيــةً ... وجُــسَّ أوتــارهُ بــالرفقِ واللــين

لعــل نجــوى تُــداوي حــر أفئــدة ... فيهــا الحــزازاتُ تغلــي كــالبراكين

ويــا ضــجيعَيْ كــرىً أعمــى يلُفهمــا ... لــف الحبيــبين في مطمــورةٍ دُون

حــسبي وحــسبكما مــن فرقــةٍ وجــوى ... بــلا عــجِ ضَــرمٍ كــالجمرِ يكــويني

لم أعــدْ أبــوابَ ســتين، وأحــسبني ... همــاً وقفــتُ علــى أبــوابِ تــسعين

يــا صــاحبيَّ إذا أبــصرت طيفكمــا ... يمــشي إلــيَّ علــى مهــلِ يحيــيني

أطبقــتُ جَفنــاً علــى جَفــن لأبــصره ... حتــى كــأن بريــقَ المــوتِ يُعــشيني

إنــي شَــممتُ ثــرىً عفنــاً يــضمكما ... وفي لُهــاثي منــه عطــرُ "داريــن"

لقــد وددتُ وأســرابُ المنــى خُــدع ... لــو تــسلمان وأن المــوت يطــويني

قــد مــتُّ ســبعينَ موتــاً بعــد يومكمــا ... يــا ذلَّ مــن يــشتري موتــاً بــسبعين

أقــول صــبراً علــى شــجوٍ يرمــضُني ... حــران في قفــص الأضــلاع مــسجون

تــصعدتْ أهِ مــن تلقــاء فطرتهــا ... وأردفــت آهــةُ أخــرى بــآمين

ودبَّ في القلــب مــن تــأموره ضــرمٌ ... مــا انفــكَّ يُثلج صدري حين يُصليني

ذكرى عبد الناصر

- تلقى الشاعر وهو في براغ دعوة من لجنة الاحتفال بالذكرى الأولى لوفاة جمال عبد الناصر فنظم هذه القصيدة وألقاها في الاحتفال (بالقاهرة) سنة ١٩٧١.
- نشرتها جريدة "الأهرام" في عددها الخاص.

أكْبَرْتُ يومَك أن يكون رثاءَ ... الخالدون عهدتُهم أحياءَ

أوَ يرزقون؟ أجل، وهذا رزقُهم ... صِنوُ الخلودِ وجاهةً وعطاءَ[1]

قالوا: الحياةُ: فقلتُ دَيْنٌ يُقتضى ... والموتُ قيل فقلت: كان وفاءَ

يا أيها النسرُ المحلِّقُ يتقي ... فيما يميلُ عواصفاً هوجاءَ

ينقضُّ عجلاناً فيفلتُ صيدُهُ ... ويصيدُهُ إذ يحسنُ الإبطاءَ

أثني عليك وما الثناء عبادة ... كم أفسد المتعبدونَ ثَناءَ

دِيَةُ الرجال إساءتان: مقلِلٌ ... وأساء جنبَ مكثِّر وأساءَ

لا يعصمُ المجدُ الرجالَ وإنما ... كان العظيمُ المجد والأخطاءَ

لم يخلُ غابٌ لم يحاسبْ عنده ... أسدٌ بما يأتي صباحَ مساءَ

---

(١) صنو: قرين، مثيل هو والخلود مثلان.

obeikandl.com

تحصَى عليه العاثرات وحسبُه ... ما فات من وثَباته الإحصاءَ

قد كنتَ شاخصَ أمةٍ نسماتها ... وهجيرها، والصبحَ والإمساءَ[1]

ألقتْ عليك غياضها ومروجَها ... واستودعتْكَ الرملَ والصحراءَ[2]

كنتَ ابنَ أرضكَ من صميم ترابها ... تُعطي الثمارَ ولم تكن عنقاءَ[3]

تتحضَن السراءَ من أطباعها ... وتلُمُّ رغم طباعك الضراءَ[4]

قالوا: أبٌ بَرٌّ فكانت أمةً ... ألفاً ووحدك كنت فيها الباءَ[5]

خَبَطَتْ كعشواء عُصوراً وانثنت ... مهزومةً فأَثَرْتَها شعواءَ

وانصعتَ في سُود الخطوب لئيمةً ... تُسدي طلائعَهُ يداً بيضاءَ

وبرِمتَ بالطبقاتِ يحلُب بعضُها ... بعضاً كما حلَب الرعاةُ الشاءَ

وودِدتَ لو لم تعترف شرّيْهما ... لا الأغنياءَ بها ولا الفقراءَ[6]

وجهدتَ أن تُمضي قضاءَك فيهما ... لتُشيد مجتمعاً يفيضُ هناءَ

أسفاً عليك، فلا الفقير كفيته ... بؤساً، ولا طلتَ الغني كفاءَ

---

(١) شاخص الأمة: نصبها ورمزها العالي.

(٢) غياض: جمع غيضة وهي ماء يجتمع فينبت فيه الشجر.

(٣) العنقاء: طائر خرافي معروف الاسم مجهول الجسم.

(٤) أطباعها: أطباع الأرض.

(٥) أي أنت كالباء للألف في كلمة "أب".

(٦) تعترف: تعرف.

obeikandl.com

قد كان حولك ألفُ جارٍ يبتغي ... هدماً ووحدَك من يُريد بناءَ

للهِ صدرَك ما أشدَّ ضُلوعه ... في شدّةٍ وأرقهن رُخاءَ

تلج السياسةَ في تناقض حالها ... قتُطابقُ العزماتِ والآراء[1]

كراً وإحجاماً ورقةً جانب ... وصلابةً وسلاسةً ودهاءَ

ورأيتَ في "أسوان" قدرة ساحر ... يسعى ليوسع ميتاً أحياءَ

وبعثتَه حياً ودُستَ مشككاً ... وصَفَعْتَ هماز بهِ مشاءَ[2]

وقَمرتَ شر مقامر وكسبته ... وسلبته أوراقه السوداءَ[3]

وَرَددتَ كيدَ مكايدٍ في نحره ... واصطدته بشباكهِ إغراءَ

ولففتَ رأسَ الأُفعُوان بذيله ... وقطعْتَهُ وخطبتَها بَتراء[4]

وصنعتَ معجزةَ "القناة" ورُعتهم ... وسقيتَهمْ حممَ الجحيم الماءَ

وعصرتَ طاقاتِ الجموعِ ورُزْتها ... فوجدتها ولاّدةً عُشراء[5]

وجَسَستَ أوتار النُفوس فوقعت ... لك طُوَّعاً أنغامها السمراء[6]

---

(١) تطابق: تساوي.

(٢) هماز مشاء: نمام.

(٣) قمرت: غلبت.

(٤) وخطبتها بتراء: شديدة.

(٥) العُشراء: الحامل لعشرة أشهر أي مكتملة الحمل منتظرة النتاج، كناية عن النضج.

(٦) طوع: جمع طائع.

ألقــتْ إليــك قُلوبهــا وعُروقهــا ... سمحـاء مـا شـاء النـدى معطـاءَ

فـإذا نطَقـتَ ملكـتَ مهجـةَ سـامع ... وخـشوعها والـسمع والإصـغاءَ

وإذا سـكت أشـاع صـمتُك رهبـةً ... حتـى يُخـالَ كتيبـةً خرسـاءَ[1]

يـا مـصرُ يـا حُلـم المشارق كلِّهـا ... مُـذ عانـت الأحـلام والأهـواءَ

يـا بنـتَ "نيلـك" مـن عذوبـة جرسـهِ ... نغمـاتُ جـر رفـةً وصـفاء

وربيبـةَ "الهـرمين" شـاخاً إذ همـا ... يتبنيانـكَ صـبوةً وفَتـاء

تُلقـينَ في الـسراء سـحرَك كلـه ... وتمـوعين بـصبرك الـضراءَ

وتمـونين الـدهر سـبعاً خـصبةً ... يكفـى بهـا سـبعاً لـه جـدباءَ

مـشت القـرونُ، وخلَّفـت أسـحارها ... ترمـي عليـك الطـلَّ والأنـداءَ

والـصبحُ يـصبغُ وجنـةً مـشبوبةً ... والليـلُ يكحـلُ مقلـةً وطفـاء[2]

والـشمس تلفَـحُ سُـمرة عربيـةً ... والـنجم يـرقص قامـةً هيفـاءَ

ودَرجـتِ في حقـلِ "الحضارة" غضّةً ... وبدأتـه تفاحـةً خـضراءَ

يـا مـصرُ أحرُفـك الثلاثـةُ كـنَّ لـي ... لـولا الغلـوُ الوجـدَ والإغمـاءَ

عـشرين عامـاً لم أزرْكِ وسـاعةٌ ... مـنهن كانـت منيـةً ورجـاءَ

لمْ؟ لـستُ أدري غـير أن قـصائداً ... عـشرين لم تـشفعْ لـديكِ لقـاءَ

---

(١) الكتيبة الخرساء: الكتيبة: الجيش، الخرساء: الداهية.

(٢) المقلة الوطفاء: طويلة الهدب.

obeikandl.com

وظللتُ أحْسدُ زائريك وخلتُني رتعاءَ تحسد أختها العجفاءَ[1]

في كل حدْبٍ ينسلون ولم أكنْ ـ وهواكِ ـ فيهم نسلةً نكراءَ

وَهَبي ثقيلَ الظل كنتُ فلم أُطقْ فما أطقْتِ ـ فديتك ـ الثقلاءَ

يا مصرُ لي وطنٌ أجلُ عطاءَه ويُحب فيَّ سماحةً وعطاءَ

يغشى الدُّروبَ عليَّ حتى إنني لأكاد أفقدُ في الزحام رداءَ

وبمصرَ لي وطنٌ أطار بجوِّهِ ما لا أطار بغيره أجواءَ

أجدُ العوالمَ كلها في سفْحه سبحانَ خالقِ كونهِ أجزاءَ

يا سِدرةً في المنتهى لم تعترف إلا الظلالَ الخضر والأفياءَ[2]

عاطي ظلالك "ناصراً" فلطالما عاطى الجموع ظلالَه وأفاءَ

وعليكَ يا فخر الكفاح تحيةً في مثل روحك طيبةً ونقاءَ

إن تقضِ في سُوح الجهاد فبعدَما سَعَّرْت فيها الرمل والرمضاءَ

ولقد حملتَ من الأمانةِ ثقلها لم تَلْقها برَماً ولا إعياءَ

نمْ آمناً، ستُمد روحُك حرَّةً وسْط الكفاحِ رفاقك الأمناءَ

---

(١) الرتعاء: الشبعانة السمينة. العجفاء: الجائعة المهزولة.

(٢) تعترف: تعرف.

obeikandl.com

obeikandl.com

يا ابن الثمانين

حسب "الثمانين" من فخر، ومن ... غشيانُها بجَنانٍ يافعٍ، خضلِ

طلقٍ كما انبلجَ الإصباحُ عن سحر ... نَدٍ، وزهرُ الربى عن عارض هطِل

وناعِمِ البال، نشوانَ بما نضَحت ... كأسُ الحياةِ، وما أبقتْ من الوَشلِ

وحاضنٍ لبناتِ الدهر، مضْطلعٍ ... بما تصرف من بُرء ومن علل

"يا للثمانين" ما ملَّت مطارحَها ... لكي يُعاودها خوف من الملل

لم تألُ تنهلُ عبَاً من مرارتها ... وتستجمُّ على معسولة علل

نفسٌ تجيشُ بإعصار، وخافقةٌ ... تحن للكأس، والأسمار، والغَزل

كأن صحوَ الرُّؤى في كل نازلة ... يشدّني بطيوف الشارب الثمل

وأنت يا ابن "الثمانين" استرحتَ بها ... كما تظنّنتَ من لومٍ، ومنْ عذَلِ

جاءت تحييك في أعيادها قذَعٌ ... نكراءُ، لقنها الساداتُ للخَول

وفَّتْكَ نُذراً لها عما وفيتَ به ... من النذور لدُن أيامكَ الأول

يا ابن "الثمانين" صبراً أنت صاحبُه ... فيما تضيقُ به أضلاعُ مُحتمل

لا تأسَ إنْ عضّت البلوى بناجذة ... ما إنْ بها من عُضاضِ الناس من كلل

فلست باغي مثوباتٍ وما خُلقتْ ... كفُ الكريم لتستعدي على بدل

وقد تمَرَّستَ بالدنيا تُمحِّصها ... في كل مَستدبر منها ومُقْتبلِ

وقد تشككتَ حتى لستَ ذا ثقةٍ ... بالنَّجْح إلا على هدْيٍ من الفشلِ

صبراً على فلذات الحر داميةٍ ... تُهدى على كفِ "حشاش" إلى "نغلِ"

وكن كعهدك "سَحاراً" بمعجزةٍ ... تحولُ الصَاب مسموماً إلى عسلِ

يَشفي ضميرك ما يُدْريكَ من حَزنٍ ... ويَسحقُ اليأسَ ما تجترُّ من أملِ

يا "ابن الثمانين" كم عُولجت عن ... المُغريات فلم تُشرقْ، ولم تملِ

كم هزَّ دوحَك من "قزْم" يُطاوله ... فلم ينلْهُ، ولم تقصر، ولم يَطُلِ

وكم سعت "إمَعاتٌ" أن يكون لها ... ما ثار حولك من لغو، ومن جَدَلِ

ثبتْ جَنانك للبلوى فقد نُصبَتْ ... لك الكمائنُ من غدرٍ، ومن خَتَل

ودَعْ ضميركَ يحذَرْ من براءته ... ففي البراءاتِ مَدعاةٌ إلى الزللِ

لئن تخلَصت من أنياب مهلكة ... فكم تلوَيت في أشراكِ مُحتَبلِ

لا تنسَ أنكَ من أشلاء مُجتمع ... يَدينُ بالحقد، والثارات، والدَّجل

يستنفرُ اليوم عن "أمس" إلى "غدِه" ... على "المذاهب"، والأنساب والمِللِ

حرب على كل "موهوبٍ" وموهبة ... لديه مُسرَجة الأضواء والشعَل

لو استطاع لغطّى الشمسَ عن حنَق ... وسَامَ رأدَ الضحى ذلاً من الطَّفَل

طبـــائعٌ، عنجَهيـــاتٌ يغلِّفهـــا ... مـن الحـضارة مـصبوغٌ مـن الحُلـلِ

وموكـبٌ مـوحش الأرجـاء مُصحِرُها ... يمـشي "الحُفـاةُ" بـه في ظـل مُنتعـلِ

كنـتَ الغريـب بـه لا أنـت تألفـه ... فتـــستريحَ، ولاعَنْـــه بمنعـــزل

ومـــا تـــزال علـــى رث الحِبـــال بـــه ... تلقـــى الحيـــاة بحبـــل منـــه متَّـــصل

لم تُبـق في الـصُلب مـن أعرافه "وثناً" ... إلا وعرّيـت، مـن "غـوثٍ" ومـن "هُبَـلِ"

فكيـف تطمـع أن تُعفيـك ثاكلـةٌ ... أنـت النـذير لهـا بالويـل والثكـل

عـصرتهم فتحمَّـل وضـرة الثقـل ... ودُســتهم فتوقــع غــضبة الخَــول

نبئـتُ "شِـرذمةُ الأذنـاب" تنهـشني ... بمـشهد مـن "رُمـاةِ الحـي" مـن "ثَعَـل"

يـا للحفيظـةِ لم تظفـرْ بـذي شَـممٍ ... وللـــشهامة ملقـــاةً علـــى طلـــل

أيـشتثير دمـي "وغْـدٌ" و"صـاحبُه" ... بمـا يـثير رمـال الـسَهْلِ والجبـل

ولا ينـدُّ فـمٌ ــ لا بَعـدهُ خَـرسٌ ... ولا تُمـدُّ يـد ــ لا تـشفَ مـن شـلل

لمـن إذن خِلَـقٌ مزعومـة خُلقـت ... اللـــسريِّ؟ أم الأســـتار والكُلـــل؟

قـد كـان شـوطُ رجـولاتٍ مـشرفةٍ ... لـو كـان تحـت سِبال القَـوم مـنْ رَجُـل

وكـان للنُبـلِ ميـدانٌ يُـصال بـهِ ... فلـم يجُـلْ مُـدعٍ مـنهم ولم يَـصُل

مَـنْ مُبلـغُ القـوم لم تعـرف دمـاؤهمُ ... طعـمَ "المهـاداةِ" عنـد الحـادث الجلـل

الخـــانعين بمنجـــاةٍ تـــسومُهُمُ ... جـدعَ الأنـوف، وذلَّ العـاجز الوكِـل

والمسلمين أخاهم في بليَّتِهم ... والهاربين من العدوى على عجل

والناكثين بعهدِ الحَرفِ منتفضاً ... على الضغائن، والبهتان، والدجل

والمبصرين فإن عنَّتْ مُجلَّحَةٌ ... ففي العيون غِشاوات من "السَّبل"

إن الحياة معاناة وتضحية ... حب السلامة فيها أرذل السبل

وللبطولات جولات، وكم شهدت ... سوح الوغى لحماة "الحرف" من بطل

وثم من لعنةِ الأجيال جازيةٌ ... تقتصُ من قولةٍ حقٍ ولم تُقَل

ومستفَز لإخوان بمن حفِظوا ... عهد "المروءات" في حلٍ ومرتحلِ

ويلَ "الكذوبين" من يوم يُسَلُّ به ... مخضوضرُ القول من مستوبئِ العمل

ما اقرب الشوطَ من "مرذولة" سَفلِ ... و"ساكتين" على "مرذولةٍ" سَفَل

أقول "للخِدن" ما حالت مَوَدتُه ... فظنَّ أن عهود الناس لم تَحُلِ

سلني أُجبكَ بما يعيا "الجواب" به ... وإن ينل منك إشفاقٌ فلا تَسَلِ

فقد تقرحتُ حتى العظمِ من شجنِ ... دامي الشَكاةِ بلوح الصدر معتمل

أُجِبْكَ عن نُصُبٍ أعلامِ "مقلَمة" ... غُفْلِ شتاتٍ إذا كشَّفتهم هُمُلِ

"وللْتماثيلُ" يُستوحى بها "مُثُلُ" ... خيرٌ من البشرِ لا خالين من "مُثُلِ"

"خُرْسٍ" وإن خَرقوا الأسماع في هذَر ... يُغشي النفوس، وفي مرصوفة "الجُملِ"

وعن "كروشِ" "زعاماتٍ" كأنَّ بها ... من فَرطِ ما اعتلفتْ مَسَاً من الحبَل

الـضاحكين "بنـصف الـسن" كاشـرةً ... وينطِف "النصفُ" مطوياً على "دخل"

يـــستأسدون إذا مُـــدَّ العنـــانُ لهـــم ... فـــإن يُـــشدَّ تـــردُّوا بـــزَّة "الحَمَـــل"

"ســتين عامــاً" أســاقيهمْ مشعــشعَةً ... مـن خـالصِ الـودِ، والأشـواقِ، والقُبـلِ

مـا سـاءهم قَرحـةٌ تُشوى بهـا كبـدي ... ومـــا يـــسرّهم كحـــل علـــى المُقَـــل

حتـــى إذا مـــسَني ضُـــرٌّ، وأســـلمني ... غـدر "الجبـان" لجـرح غـير منـدمل

وكنـت إن ألتقـي "وغـداً" يجـشِمني ... "عـــار النِـــزال" بـــلا حَـــوْل ولا قِبَـــل

مـروا "لئامـاً" علـى الظـامي وغلَّتـهِ ... وعنـدهم كـلُّ مـا يَـشفي مـن الغلـل

وغـــــادروه "بمُومـــــاةٍ" كـــــأنهم ... ليـــسوا ذوي ناقـــةٍ منـــه ولا جَمَـــل

يا "صاحبي" وحتوفُ القوم طَوْع يدي ... وكـم أتـتهم "ريـاح المـوت" مـن قِبَلـي

أجـــلْ يراعَـــك في آجـــالهم مزقـــاً ... فلـيس عنـدك بعـد اليـوم مـن أجـل

واضـرب بهـم أسـوأ "الأمثـال" سـائرةً ... حتـــى تـــثلِمَ فـــيهم مـــضربَ المَثَـــل!

١٩٨٢